روايات عبير

آن مينتر

السهم يرتد

www.liilas
samra

١ - الخدعة الأولى

طنت صوفي انها جثت عندما وافقت على المجيء. فماذا كانت تفعل في بورت اوف سبين، وهي تنتظر بقلب مضطرب وصول بد ايف، ليأخذها معه؟ كيف تأملت لعب هذا الدور بمهارة فائقة. فلا يمكن احد انها ليست ايف هوللينغر؟ ام لم يكن انتحال شخصية اخرى جرماً؟ ام هل يمكن اعتبار ذلك العمل جرماً حتى عندما يكون الشخص المعني قد اعطاها اذناً للقيام بذلك، لا بل ترجاها في الحقيقة؟ هزت صوفي كتفيها كمن لا حيلة له. كانت راحتا كفيها رطبتين، والعرق يتصبب من عنقها، ومأقاها ترتجفان قليلاً. سارت بقلق داخل غرفة الفندق تحاول تهدئة اعصابها، وراجعت مرات عدة ما قاله لها ايف.

قالت لنفسها يجب ان لا اقلق ولكن من دون اقتناع حقيقي. ولم يستق

لعائلة سانت فينسنتي ان رأت ايف. فكيف في امكانها التعرف اليها. او معرفة اي امر عنها سوى ما اختارت ان تخبرها به في رسائلها؟ في اي حال، الفتاتان تشبه الواحدة الاخرى قليلاً. كانت شقراوين. وبينما مال شعر ايف الى لون ذهبي مخضر، كان شعر صوفي ذهبي اللون تشوبه خصلات من لون العسل. كانتا طويلتين نسبياً، ونحيلتين، واذا كانت صوفي ناحلة اكثر، فذلك بسبب اهمالها الطعام بعض الشيء. اذ لم يكن اجرها القليل يكفيها للاهتمام بصحتها، بل هناك امور اخرى اعتبرتها اكثر اهمية؟ صوفي تعمل مديرة مسرح في سانفلتشيرش. وافترضت ايف كم صديقتها حقاً لقبولها العمل مقابل ذلك الاجر الزهيد.

تعرفت صوفي الى ايف قبل سنوات اربع، عندما كان عمرها ثمانية عشر عاماً وهي في عملها الأول في لندن. ومع انها كانت تفضل ان تصبح ممثلة فذا ما قدر لها ان تختار، ادركت انها تحتاج الى سبل اخرى لتؤمن معيشتها. لذلك تعلمت الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة وعملت في احدى محطات التلفزيون المستقلة.

كانت ايف صحافية شابة وناشطة، وصنعت لنفسها اسماً في فليت ستريت وساعدت صوفي عندما جاءت لتكتب مقالاً عن محطة التلفزيون، وغدت الفتاتان صديقتين فوراً، رغم تناقضهما. فتعتا بالرفقة من البداية. وعندما اسرّت صوفي الى ايف برغبتها في ان تصبح ممثلة، استعملت الاخيرة نفوذها وفتحت لها الابواب للعمل كمديرة مسرح في سانفلتشيرش. وبالطبع، ايقنت صوفي ان ايف لم تتوقع منها البقاء في هذا العمل، لكنها بقيت، وكانت سعيدة بطريقتها الخاصة خلال الثلاث سنوات ونصف السنة الماضية. لم يكن لديها الكثير من المال. الا انها كسبت الكثير من الاصدقاء، كما كانت تقضي عطلات نهاية الاسبوع في لندن مع ايف من وقت الى اخر. حتى بدت ايف كأنها تحيا حياة اكثر اثارة من صوفي، على رغم ارتباط الاخيرة بالمسرح. اذ ذهبت كثيراً الى الحفلات كما حصلت على اجازات غير اعتيادية لتغطية بعض الاحداث. زاد عدد اصدقائها ولم تكن تقضي وقتاً طويلاً مع والدها المتقاعد الذي كان يقيم في كينسنغتون.

ولم يكن امام ايف سوى ان تخبر صوفي بأن امها توفيت اثناء ولادتها وان

والدها يلومها...

رأت صوفي في تلك الوضع مأساة، فقد رعتها عمتها المسنة في طفولتها ولم تعرف مطلقاً معنى ان يكون لها ابوان. وشعرت عندما تصورت نفسها مكان ايف بأنها كانت ستتعد من الضروري ان تحاول جهدها لتبرهن لوالدها بأن وجودها وحيدين يعني دائماً ضرورة اهتمام الواحد منهما بالآخر. ولكن الأمر لا يخصها. ولم يكن في استطاعتها ان تفعل اكثر من تذكير ايف احياناً بضرورة اكثار زياراتها لوالدها.

توفي والد ايف قبل نحو ستة اشهر، وحضرت الدفن مع صوفي، واخبرتها في ما بعد انها يجب ان تبلغ عائلة والدتها بالأمر. كانت هذه هي المرة الأولى التي سمعت فيها صوفي عن عائلة والدة ايف. وذهشت عندما علمت بأنها عائلة ثرية وتملك مزارع شاسعة في تريندباد.

وعندما اخبرتها ايف ان والدتها هربت كي تتزوج جيمس هوليستر وهي في الثامنة عشرة من عمرها، فهمت صوفي لماذا لم تسمع ايف لذكر اي شيء عن عائلة والدتها. لكنها الآن تعرف القصة كلها. كان والد ايف مهندساً يعمل في مشروع عمراني في تريندباد عندما قابل والدتها. واعتبر جيمس هوليستر بانه غير لائق بالعائلة وغير متكافئ من حيث الثراء مع عائلة سانت فينسنتي اضافة الى ان والدة ايف كانت مخطوبة لابن عائلة ثرية اخرى في الجزيرة. لكن ايف قالت، بنبرة السخرية، انها احبا بعضهما البعض من النظرة الأولى. وهرب الحبيبان الى انكلترا ولم يعودا الى تريندباد ابداً. وبالطبع، قاطع جدها ابنته تماماً، ولم يلن قلبه، حتى عندما علم انها تزوجت وهي تضع مولودتها. انفطر قلب والد ايف لوفاة زوجته، على رغم رحيله الجديد لايف. لكنه لم يبدُ بها كثيراً. فترعرعت في كنف عمتها ودرست في مدرسة داخلية، واختياراً مكنتها موهبتها الكتابية من الحصول على احد المناصب الأكثر اجراً في الصحافة البريطانية.

لم تسمع صوفي المزيد عن سانت فينسنتي الا لأسابيع قليلة خلت، عندما دعتها ايف الى قضية عطلة نهاية الاسبوع في شقتها. واخبرتها بانها كانت تراسل جدها خلال الشهور القليلة الماضية ويبدو ان قلبه قد لان على مر السنين لأنه اجابها فوراً على الرسالة المتعلقة بوفاة والدها، وكتب اليها

رسائل عدة.

سرت صوفي لاخبار صديقتها. وظنت ان ايف ستعرف اخيرا بهجة الانتماء الى عائلة حقيقية. لكن ايف كانت غاضبة كالعادة. واعترفت بان فكرة الصلح اول الأمر مع عائلة والدتها قد راقت لها، لكن جدها اقترح ان تأتي الى تريبيداد، الى منزله في بوانتي سانت فينسنتي لقضاء بضعة اسابيع تتعرف خلالها الى اقاربها.

قالت ايف:

- هل تستطيعين ان تتصوري يا عزيزتي ان القطع انا هن المدينة لبضعة اسابيع! يا للسماء، سوف اجن حتماً!

لم تعرف صوفي بماذا تجيب. فمن ناحية كانت تفهم تماماً ايف، فهي ببساطة من النوع الذي لا يستطيع العيش من دون النمط الصاخب في حياتها الراهنة. الا انها من ناحية اخرى كتبت رسائل جدها مهدت فيها لطلبه هذا.

واخيراً سألتها صوفي:

- ماذا لزمعين ان تفعلي اذن؟

- فكرت انك تحبين الذهاب عوضاً عني.

وقبل ان تتمكن صوفي من الاحتجاج، تابعت:

- لا تقولي لا فوراً. فكري في الأمر.

تنهدت صوفي بعمق:

- لا يمكن ان تكوني جادة!

- لم لا؟

- حسناً، لأن الأمر مستحيل!

- لماذا؟

نظرت صوفي في عيني ايف علها تجد دليلاً على انها تمزح فقط. ولا داعي لأخذ كلامها على محمل الجد.

- ايف!

- اصغي الي يا صوفي. الم تخبريني منذ بضعة اسابيع انا روبرتو هارفي ينظم مدرسة صيفية للممثلين في روما هذه السنة؟

- نعم، بالطبع.

- حسناً، الا تحبين الذهاب؟

- لا؟

ونظرت صوفي الى صديقتها مندهشة:

- احضر المدرسة الصيفية؟

- نعم. بامكاني ترتيب الأمر.

- لكن ليس بامكاني تحمل النفقات.

- انا استطيع ذلك.

- آه يا ايف، بحق السماء، ماذا تحاولين ان تقولي؟ اذا ذهبت الى تريبيداد عوضاً عنك سترتبين امر ذهابي الى مدرسة روبرتو هارفي في الصيف؟

- هذا صحيح.

ذهلت صوفي وقالت:

- ولكن لماذا؟ لماذا تفعلين ذلك؟

بقيت ايف وهشت حافية القدمين على السجادة الوثيرة في الغرفة.

- هل يجب ان يكون هناك سبب؟ انا صديقتك. وظننت ان واحدتنا يمكن ان تساعد الاخرى من دون اسباب كثيرة لذلك.

سألت صوفي سائقها امامها:

- انت تعلمين اني افعل اي شيء لأساعدك يا ايف. ولكن هذا الأمر مختلف.

- كيف ذلك؟

- انت تعلمين كيف.

ونظرت صوفي الى ثقب صغير في سروالها محاولة عدم التفكير في العرض الذي كانت ترفضه.

- لا اعلم.

اجابتها ايف واسندت جسمها بالمال الى رف الوقد واضافت:

- هذا اذا اعرض عليك ليس فقط فرصة لحضور المدرسة الصيفية بل ايضاً عطلة لأسابيع عدة في احدى الجزر الأكثر اثارة في العالم. فلنت

انك سنقبلين بحماسة.

- هل كنت تقبلين انت؟

اجابت ايف:

- نعم، قبل. حقيقة يا صوفي اين روح المغامرة لديك؟ الا تريدين رؤية شيء من هذا العالم وتستمتعين به قبل ان تصبحي اكبر سناً؟ ان تخافي شيئاً وانت تعملين في مسرح من الدرجة الثالثة في سانديشيرش!

تحفزت وحتا صوفي وقالت:

- ليس مسرحاً من الدرجة الثالثة. ولما ضرورة لانك ذكرتني بانني اعمل هناك!

- في امكانك اخذ اجازة من العمل.

قالت ايف بنفاد صبر واضافت:

- يمكنهم الاستغناء هناك كما تعلمين.

كان في امكان ايف ان تكون قاسية اذا عارضها احد، وصوفي على علم بذلك منذ بداية صداقتهما، فحاولت الا تتأثر بما قالته. وادركت انها تتبع هذا الاسلوب لتقنعها بتغيير رأيها، وبدت ايف مدركة ان اسلوبها لن يوصلها الى نتيجة، فتنهدت ثم قالت معتذرة:

- الي آسفة يا صوفي. انا سيئة. لكني كنت اعتمد عليك لاخراجي من هذه الورطة.

ونظرت صوفي اليها قائلة:

- اي ورطة؟

هزت ايف كتفيها وبحثت عن علبة السكائر. ادعتها الى صوفي التي اعتقدت، لأنها نادراً ما تدخن الا اذا عانت من توتر عصبي في ليلة افتتاح احدى المسرحيات.

- لقد وافقت على الذهاب الى بوابي سانت فيستي.

سألت صوفي بدهشة:

- ولكن لماذا؟

هزت ايف كتفيها، قائلة:

- لا، انت تعلمين كيف تحدث مثل هذه الاشياء. يبدأ الواحد منا امراً

كهذا، لكن سرعان ما يفلت زمام الأمر من بين يديه.

- ولكن كان عليك التأكد اذا كنت تريدين الذهاب ام لا؟

- انت لا تفهمين. ظن جدي في رسالته بانني لوه الذهاب الى تريندار. ويبدو واضحاً انه ندم كثيراً على ما حدث قبل خمسة وعشرين عاماً، ويريد التعويض عن ذلك الآن. اعتقد انه يراني يتيمة ووحيدة ومن دون عائلة بعد وفاة والدي.

- في الواقع، هذا صحيح.

- نعم، ولكن ليس كما يعتقد هو. اعني... اخر امر ارغب فيه هو والد هرم يترقب تحركاتي!

وتبددت صوفي. كان واضحاً ان الصورة التي كونها جد ايف عنها مختلفة لدرجة عظيمة عن حقيقتها. ثم قالت لها:

- ما عليك الا ان تكتبي وتبلغيه بأن عملك لن يسمح لك بالذهاب في هذا الوقت.

اجابت ايف باصرار:

- لا، لا اريد ان افعل ذلك.

- لماذا؟

- حسناً... لا تغضبي اذا قلت لك.

- اذا قلت ماذا؟

واسندت صوفي ذقنها الى يدها.

- حسناً، هم لا يعلمون اني صحافية.

- ماذا؟!

- انها الحقيقة. كانت ذمة لعمتها.

- ذمة؟

- نعم.

ثم اضافت ايف بتردد:

- عندما كتبت اخبر جدي بوفاة ابي، لم اذكر طبيعة عملي، وعندما رد على رسالتي كان واضحاً انه ظن اني اعمل كسكرتيرة. وتركته يستمر في اعتقاده هذا.

- ولكن لماذا؟

- آه، اعتقد انني لو اخبرته كوني صحافية لخطفت الصورة التي كونها عني.

- بأي طريقة؟

- حسناً، الصحافيون... وخاصة النساء، هم عادة من النوع الواثق من ذاته والقاسي اذا جاز التعبير. وعلمت ان جدي لن يستجيب لانسان من هذا النوع، لذا تظاهرت انني اعمل سكرتيرة.

- آه، ايف!

هزت ايف كتفيها. فعادت صوني لتسأل:

- وماذا في ذلك؟ ثم ما علاقة هذا الأمر بلعبايك؟

- جدي رجل عجوز، اسعدته رسالتي، واعادت اليه لذته بنفسه. اذا رفضت الذهاب الآن، ففي وسعك ان تري اثر ذلك عليه؟

احنت صوني ظهرها بتقطيع، كان في امكانها ان ترى ذلك جيداً. تعلق هذا الرجل بايف وبالراحة التي وجدها في رسالتها، والأمل على رؤيتها والقضية لواخر ايامه معها. فكيف سيكون في وسعها ان تخيب امله الآن؟

شعرت صوني بايف تحدق فيها، وقالت لها وهي تهز بضعف:

- عليك الا تذهبي.

- لكني لا استطيع.

- تعين انك لا تذهبي.

- كلا اعني انني لا استطيع. عدا عن اي امر آخر، لدي مهمة قريباً مع جون فيلوز تعرفين من هو جون فيلوز، اليس كذلك؟

كانت صوني قد سمعت به واومأت برأسها وتابعت ايف حديثها:

- حسناً، عرضت علينا انا وجون فرصة الذهاب الى الشرق الأوسط. الصحيفة تريد منا تحضير سلسلة مقالات عن رجال الدولة في الشرق الأوسط، واذا نجحت المهمة فمن يعلم الى اين قد تؤدي؟

اشارت صوني بيدها معترضة وقالت:

- رويدك خطة. رويدك. فأنا لا شأن لي بالأمر. تبدو رحلتك عظيمة،

اعني رحلة الشرق الأوسط، ولكن في ما يخص بجدك...

- يا عزيزي، هل ستحرمني فرصة العمل مع جون؟ هذا ما كنت انتظر له منذ اعوام.

- ايف. لا علاقة لي بالأمر! لا يمكنك فعل الأمرين معاً، عليك ان تختاري.

ساد الصمت فترة طويلة ثم قالت ايف بتمهل:

- واذا اعتقدت انك صديقتي!

- انا صديقتك.

- الاصدقاء يتعاونون. كيا ساعدتك انا عندما ارغمت تركَ عملك في الطباعة والانضمام الى الشركة المسرحية.

حدقت صوني فيها غير مصدقة:

- ولكن ذلك الأمر يختلف تماماً.

- كيف ذلك؟ من دون مساعدتي لكنت الى الان تفترين على الآلة الكاتبة في الغلب الظن. ان شق طريقك بمفردك في عالم المسرح ليس بالأمر السهل.

- اعلم ذلك، ولكن...

- ولكن ماذا؟ كنت ستتمكنين من ذلك في اي حال؟

- لم اقل ذلك.

شعرت صوني بالصدمة:

- ايف، هل تتركين ما تطلبين مني القيام به؟

- نعم. لن اطلب منك قصد بضعة اسابيع في مزرعة في جزر الهند الغربية منتظرة بانك انا. وبهذا تساعدين رجلاً عجوزاً على الموت بسعادة.

- تجعلين الأمر يبدو شديد السهولة!

- انه سهل. اين المشكلة؟ لم يطلبوني قط. لا يعلمون عني اي شيء سوى ما اخبرت ان اكتبه في رسائلي. قولين انك ترفضين في ان تصبحي ممثلة. احسناً، هذه فرصتك لتبرهني مقدرتك. بعدها هناك المدرسة الصيفية في روما بانتظارك.

مررت صوفي اصابعها في شعرها الكثيف المسدل على كتفيها، وقالت:

- انك تعقدين الأمور يا ايف!

انتهزت ايف الفرصة واقتربت من صوفي واخذت يديها وقالت:

- يا عزيزتي، انا لا اريد انتزاعك، ولكن الا تستطيعين ان تري انه بامكانك القيام بالأمر؟ الا تريدين ان تكوني مسؤولة عن ادخال بعض السعادة الى حياة براندت سانت فينسنتي؟

رف جفنا صوفي وقالت بدهشة:

- براندت سانت فينسنتي؟ هل هذا اسم جدك؟

اومأت ايف برأسها علامة الايجاب. عادت صوفي تسأل:

- هل لديك ... جدة.

هزت ايف رأسها نفياً.

- كلا، ماتت قبل نحو عشر سنين.

- وهذا الرجل المسن ... هل يعيش بمفرده؟

- كلا، هناك ابنه ... خالي، اندرو لوج.

قالت صوفي عابرة لا تظهر اهتماماً:

- اندرو؟ ويعيش مع جدك؟

- نعم.

- وهو غير متزوج؟

- انه ارمل. اتصور انه مدير اعمال جدي. لا بد انه في منتصف العمر الآن.

- هل ... هل هما العائلة كلها؟

- كلا. هناك عمة امي دوروثيا وبناتها روزا عن ما اعتقد. هكذا اشار جدي الى اسمها في رسالته.

سحبت صوفي يدها من يد ايف وازاحت الشعر عن وجهها.

- اهذا كل شيء؟

- حسبما اعتقد. في اي حال، لن يكون من المتوقع ان تعلمي اكثر مما ذكر في الرسائل. في امكانك قراءتها اذا احببت، وعندها ستتعلمين بكل التفاصيل مباشرة.

- كلا، شكراً.

قالت صوفي ذلك وشعرت بشيء من النفور من الفكرة، فقد كتب جد ايف تلك الرسائل بصدق. ولم يكن يتوقع ان تعرض رسائله على اصدقائها.

نظرت ايف اليها بنفاد صبر وسألتها:

- حسناً؟ هل ستذهبين؟

هزت صوفي رأسها وقالت:

- لا ادري، حقاً لا ادري. اعطني بعض الوقت لأفكر بالأمر.

ولكنها بالطبع كانت قد قبلت ضمناً. كما علمت ايف منذ البداية.

حاولت صوفي ان تقنع نفسها بان دوافعها كانت في الأساس تحبيب براندت سانت فينسنتي، الاصابة بخيبة امل. لكنها في داخلها احضرت نفسها لأن ذهابها اقترح الى مدرسة المشلين الضيفية. فمن الذي ساعد في تنابها فكرة الذهاب.

والآن ها هي في غرفة الفندق في بورت اوف سبابن. تنتظر بنفاد صبر هي، جد ايف ليلتقي حفيدته المفقودة. كانت ايف قد اقترحت عليها الانتظار الى حين وصولها الى بورت اوف سبابن ثم الاتصال بعائلة سانت فينسنتي. فبهذه الطريقة تتجنب تعرضها الى اي ارتباك في مداخلات الدخول الرسمية. وتنهدت صوفي من قدرة ايف على الانحراف فما تطلب الأمر منها ذلك. واخذت تتساءل عن مدى معرفتها فما بعد كل هذه الأعوام.

وقفت قرب النافذة تنظر الى الشارع المزدحم. كانت ايف قد اخذت عليها ان تقيم في فندق فخم. يقع في وسط المدينة باهظ الكلفة جداً. وتساءلت صوفي اذا كان في امكانها الاستمرار في الاقامة فيه اكثر مما توقعت من دون ان يأتي ذلك على ما لديها من نقود. واضافها الازدحام البشري الذي رأته من النافذة بعض الشيء. وهي لم تكن سافرت كثيراً من قبل، وشعورها الآن بأنها لم تكن تعرف اي شخص بين جميع هؤلاء الناس المتنوعي الجنسيات والاعراق كان شعوراً مخيفاً.

رأت نساء هنديات يلبسن السارى، ورجالاً اميركيين يلبسون قمصاناً

ترمز الى جزيرة هادئ وقبعات من القش ورجالاً يحترمون العمامات والطرابيش، وفتيات صينيات جميلات ذوات بشرة زيتونية اللون يلبسن ثياباً زاهية التصاميم، ونساء افريقيات يحملن رزماً هائلة على رؤوسهن برشاقة طبيعية. وصدحت ابواق السيارات وعلت اجراس الدراجات الهوائية، اما الذين كانوا مسرورين الى درجة كافية لركوب الباصات الزاهية الالوان، فتعلقوا بالأبواب وبقفزون من الباص وإليه حيثما احبوا. عكس النظر الثاوية ومتعة كانتا غريبتين عن صوفي لفاسا. وفجأة رن جرس الهاتف عالياً قرب السرير، كادت صوفي ان تقفز من الفراش. واستدارت تنظر اليه وشعرت بخوف حقيقي يجتاحها. فعائلة سانت فينسنتي كانت الوحيدة في هذا المكان التي عرفت انها موجودة في بورت اوف سبين ولا بد ان هذه المكالمة لها علاقة بها. فجأة شعرت بأنها لا تستطيع الاستمرار وسمعت الهاتف يرن ويرن في موجات خوف غير معقولة اجتاحتها.

توقف الرنين واعادها الصمت الذي تلاه الى رشدها. واجهدت يداها الى جانبيها، واخذت تتنفس بعمق محاولة تهدئة اعصابها المضطربة. كان عليها الاجابة على المكالمة، قالت لنفسها بحزم. ماذا لو ان عائلة الهاتف فكرت في ان تنظر الى اسم من يشغل الغرفة ذات الرقم ٢٧٥؟ ماذا لو اكتشفت انها ليست الآنسة هوليستر بل الآنسة سلاتر؟ اضطرب قلب صوفي وهرعت الغرفة بسرعة وجلست على حافة السرير ورفعت سماعة الهاتف.

كانت هذه فكرة منحرفة اخرى من افكار ايف: ان تقيم في فندق كبير لا يتذكر العاملون فيه اسماء جميع النزلاء، ومن ثم تضع رقم الغرفة فقط في رسالتها الى سانت فينسنتي. وبالطبع، كان عليها حجز غرفة باسمها الحقيقي، لأنهم طلبوا جواز سفرها للتحقق من شخصيتها. ولكن ماذا يمكن ان يحدث الآن اذا كانت عائلة الهاتف تبحث في سجلات الفندق وتبلغ الشخص الذي يحاول الاتصال بها انه لا يوجد احد باسم هوليستر في الفندق؟

عندما اجابت عاملة الهاتف، قالت صوفي:

ـ هل كنت تحاولين الاتصال بي؟ اخشى انني كنت في الحمام.

ـ الآنسة هوليستر؟

سألت عاملة الهاتف بتهذيب:

ـ نعم.

وحققت صوفي اصابعها.

ـ هناك خط في الحمام يا آنسة هوليستر.

اخبرها عاملة الهاتف بنعومة. ثم تابعت:

ـ حاولنا معرفة مكانك. هناك رجل في الردهة ينتظر ان يراك، السيد سانت فينسنتي.

سانت فينسنتي؟ كاد ذكر الاسم ان يحطم كل اكاذيبها المحكمة بنفسها. انه الآن في الردهة. لم تتوقع منه المجيء قبل ان يتصل بها اولاً.

واستطاعت ان تحافظ على نبرة هادئة في صوتها، وقالت:

ـ عرفت سوف احضر. اعطني خمس دقائق.

ـ حسناً جداً يا آنسة هوليستر. سأبلغ السيد سانت فينسنتي انك ستحضرين فوراً.

ـ شكراً لك.

اعادت صوفي السماعة ونظرت الى فستانها القطني البسيط الذي كانت ترتديه. هل كانت ايف سترتدي هذا النوع من الملابس في لقائها الأول جدها؟ ام هل كان عليها ارتداء ملابس اكثر وقاراً؟ هرعت كاتيها. ايف لم ترد لها ان تتصرف بصورة تختلف عن الصورة العامة، وبدا الفستان الأزرق الفاتح ناعماً وجذاباً يتماشى وبشرتها الباهتة.

تأهبت عميقاً ونهضت الى المرآة تنظر الى وجهها. بدا خداها شاحبين وعيناها الرماديتان كانهما تلومانها على ما كانت توشك القيام به. ولكن الوقت داهمها الآن ولن تستطيع التراجع. هي هنا الآن وعليها القيام بعمل تعهدته.

عندما دخلت مصعداً شغله فتى عمل داكن البشرة، ابتسم لها وعلق بمرح على الطقس وهما يهبطان الطوابق الستة التي تفصلها عن الطابق الأرضي.

كانت ترتجف وهي تسير نحو الردهة، ولكن كان عليها الاستمرار.

صرت قرب طاولة الاستقبال وهي تتفحص الرجال الذين يقفون وحيدين او جماعات، لكن احداً منهم لم يبد مستأ الى درجة توحي بأنه جد ايف.

موظف الاستقبال شاب نحيل هندي الاصل ابتسم مرحباً عندما اقتربت منه.

- انا ... انا الآنسة هوليستر.

قالت بصوت اقرب الى الهمس.

- فهمت ان احداً ما ينتظرني.

- آه، اجل يا آنسة هوليستر. انا السيد سانت فينسنتي ينتظرك في ردهة كينغستون.

- كينغستون؟ اين هي؟

- عبر ذلك الممر يا آنسة، تجدين اشارة الى يمينك.

- آه. شكراً لك.

سارت نحو الممر الذي اشار اليه الشاب الهندي، ونظرت حولها. رأت اشارات مضيئة عدة ترشد الضيوف الى انحاء الفندق المختلفة، وكان من السهل عليها ولوجه الاشارة. ولكن هل كان من السهل ان تتصرف ان جد ايف كان ثملاً في الفندق عكس انحائه لم تكن تعرفها قبلاً؟ ولم تكن ردهة كينغستون مختلفة عن بقية الفندق. حتى في هذه الساعة المبكرة رأت زبائن يجلسون الى طاولات مجاورة لحوائط من الحرائش الخضراء والزهرة. كانت قناديل سقف قديمة تضيء المكان بنورها الخافت وتلقي بظلها على زوايا معينة معدلة جواً حميماً.

نظرت صوب ثانية الى ساعتها الفضي البسيط. وفكرت بانزعاج في انه كان يجدر بها ابداله. في اي حال، نظرت حولها بعينين ضالعتين. اين هو جد ايف؟ حتماً كان عليه ان ينتظر قرب باب الردهة وبرأسه وصوفا. لكنها لم تر احداً قرب المدخل، لم يكن احد يفرده سوى رجل اسمر يشرب كوباً من الشاي.

ما كادت عيناها تتوقفان عند الرجل حتى ادار رأسه ونظر باتجاهها وشعرت برعشة خوف تقشعر لها. من جاذبيته الشديدة التي لم تر لها مثيلاً في حياتها، مع انها رأت شيئاً قاسياً في خط فمه الرقيق، كانت عيناه بلون

عسلي غريب، اجالتا النظر في صوني بتمعن وقح.

حولت نظرها بعيداً عنه بسرعة. لم تكن معتادة ان ينظر اليها احد على ذلك النحو ولم تضمن الى ذلك. اين هو برادفورد سانت فينسنتي اذن؟ لماذا لا يتقدم ويعرف بنفسه؟ حتماً لو كان هنا لاستطاع ان يرى بوضوح انها كانت تبحث عن شخص ما.

نهض الرجل عن كرسيه واحتسى جرعة من كأسه، واسرّ بشيء الى الساقي ثم سار نحوها. تسارع نبض صوني باضطراب وكادت تستدير بعيداً. يا للسماء بفكرت بوجل.. انه يعتقد بأني ابحث عن رجل!

- ايف!

ناداها صوت الرجل العذاب وقد دنا منها، شهقت واستدارت ثانية. كان الرجل واقفاً قبالتها بارتياح، اصبح اكثر اثارة عندما اقترب منها، وبالكاد استطاعت صوني ان تصوغ ما ارادت قوله.

- انا ... انا اعتقد بانك تعني...

بدأت تقول له عندما قاطعها:

- انت ايف هوليستر، اليس كذلك؟

سألها ورفع حاجبيه بتهكم. جفلت صوني قليلاً.

- في الواقع... اجل، انا هوليستر. ولكن... ولكن من انت؟

اعتدل في وقفته واجاب:

- اسمي آدم سانت فينسنتي. لا بد ان يكون ابي قد ذكرني في رسائله.

- آدم... انت كنت... اعني... انت شقيق امي؟

- اعتقد ان بي هذا الشرف.

وشعرت بانه كان يستمتع بارتباكها.

- اذن هل انت... السيد سانت فينسنتي الذي ينتظرني؟

بالكاد استطاعت ايف استيعاب الأمر. هذا الرجل هو آدم سانت فينسنتي شقيق والدة ايف. الرجل الذي وصفه ايف بأنه ارمل في منتصف العمر!

هزت رأسها. لم يكن آدم سانت فينسنتي في منتصف العمر. واستبعدت ان يكون الشخص الماثل امامها قد تجاوز الخامسة والثلاثين

وشعرت ان الحيرة التي عكستها عيناه العسليتان القريبتان لم تصنعها زوجته!

٢ ـ ثلاثة رجال وصبيّة

ـ هذا صحيح.
قال لها لوح سامت فرنسسي وأضاف:
ـ من كنت تتوقعين؟
جمعت صوفي انفاسها:
ـ انا... أنا ظننت... جدي...
ـ آه فهمت. آسف لاني خيبت أملك، ولكنّ والدي نادراً ما يأتي الى بورت لوف صباحاً. انه لا يحب...
ونظر حوله بتمعّن وهزّ كتفيه متابعاً:
ـ جو المكان.
وضغطت صوفي يديها وقالت:

- فهمت.

عاد أدوج ينظر اليها بامعان عما جعل حديها يتخضبان:

- لكن أنت ايف. لا تشبهين والدتك كثيراً.

حاولت صوفي أن ترد نظرته.

- أعتقد أني أشبه والدي.

- اعتقد.

الجابها وقد بدا تعبيره متأملاً:

- حسناً... هل تشرب شيئاً؟

تردّدت صوفي:

- أنا لا اشرب... كثيراً.

- ألا تفعلين؟

وعاد الخادمان الصالحان يرتقبان وأصاخا:

- اعتقدت أن كلّ النساء الصحافيات يستمتعن بالجانب الاجتماعي لعملهن.

- النساء الصحافيات؟

صدمت صوفي ولم تستطع اخفاء صدمتها.

- نعم.

استدار أدوج هادئاً لكلمة السائق واضطرت هي الى اللحاق به، ثم تابع حديثه:

- أنت صحافية، أليس كذلك؟ ثم أنّ ايف هوليستر أخرى؟

شعرت صوفي بالرعشة فيحملة واحدة حطّم أدوج سنات فيستي كلّ الصورة التي خلقتها ايف بعناية عن ذاتها. كان عليها أن يعلما أنّ عائلة مثل عائلة سنات فيستي لن تقبل أيّ غريباً، عدا من دون استثناء. ولكن الى أيّ درجة تمّ ذلك؟ ومن قام بالمهمة؟

نظرت نظرة حانية سريعة اليه. بدا مسترخياً الى درجة كافية. لم يكن ثمة حكم في تعليقه. ولكن كيف تستطيع أن تتأكد؟ عاودتها مخاوفها القديمة. كان عليها ألاّ ترضخ لايف، وكان عليها عدم الموافقة على المجيء لانها لن تتمكن بالقيام بما توكل اليها. اشار أدوج عليها بالجلوس على أحد

المقاعد الطويلة بينما تابع السائقي.

جلست صوفي بارتياح محاولة يأس أن تجد جواباً لما قاله.

جلس أدوج قريباً بسهولة وأسند مرفقيه الى الطاولة. كان أطول منها بكثير. وعندما اقترب السائقي طلب لنفسه بعض الكولا ثم نظر بتساؤل ناحية صوفي وسألها:

- ماذا تشربين؟

مرّرت صوفي لسانها على شفتيها الجافتين، وقالت:

- ليموناضة.

- ليموناضة؟

بدا عليه انه يتمثل:

- حسناً وكوباً من الليموناضة ايضاً.

- نعم يا سيد سانت فيستي.

وضعت صوفي يديها على الطاولة لتوقف ارتعاشها.

نظرت بعصبية الى الحقيبة المحتمة حولها، وتحركت ببعض الارتباك على مقعدها. وتساءلت ما اذا كان مدركاً لحالتها العصبية. تناول علبة سيكار طويلة ونظر اليها بامعان.

- اخشى أنه لا يمكنني أن أقدم لك السكائر.

- أنا... كنا لا ندخن.

- ألا تدخنين حقاً؟

وصاقت عيناه وهو يضع سيكارا ضخماً بين اسنانه.

- أغرب... وأغرب.

اقتنعت صوفي بأنه يلعب معها لعبة القط والفار. فتحت فمها لتقول أن لا داعي لقول المزيد. ولتعترف بالحقيقة. بأنها ليست ايف هوليستر وتزمع على مغادرة تورينداد على متن أول طائرة مغادرة. ولكن الكلمات لم تخرج بالمرّة. اذ قاطعها قائلاً:

- لعتقد انه يجب أن نتفاهم خلال، أليس كذلك؟

اطبقت صوفي أصابعها في كفها.

- أنا... أنا لذا أحببت

كان توج سانت فينسنتي جدّياً الآن واختفى التكر من عينيه.

- هذا ما يؤلمه أبي.

قال هذا بهدوء وأشعل سيكارة بولاعة ذهبية نفخ دخانه وأكمل:

- هذا أمر يعود اليك على ما أعتقد!

عاد النسائي وهو يحمل شرابها. وضع الكأسين أمامهما ثم مسح الطاولة بقطعة قماش صغيرة كأنه ينتظر حدوث أمر آخر. أومأ توج شاكراً، ثم قال له:

- أبلغ صهرك أن يتصل بي هاتفياً وسأرى ما يوسعني فعله.

- نعم سيدي وأنا شاكر لك يا سيد سانت فينسنتي.

- لا بأس.

وأشار توج إليه بالانصراف فابتعد ليخدم زبوناً آخر... ثم وجّه توج انتباهه مرّة أخرى نحو صوفي.

- والآن. اخبريني. هل كانت رحلتك طيبة؟

استدارت أصابع صوفي حول كأسها كأنه حبل نجاة وأجابت بسرعة:

- نعم شكراً لك.

كانت أن تكمل قائلة بأنها لم تعتد السفر بالطائرة كثيراً لتعلم الفتاة من الريف في رحلات الطيران، لكنّها كانت حذرة مما قد يكتشفه عنها وتابعت:

- وصلت مساء أمس.

- نعم.

رفّ توج وشرب بعض الشراب. وانتبهت صوفي إلى أصابعه الطويلة ويديه... يدان لا تشبهان أيدي المزارعين. لكنّ عائلة سانت فنسنتي لم تكن عائلة مزارعين حاذقين. لم هل هي كذلك؟ قاطع تأملها بقوله:

- فرح والدي جداً عند سماعه برغبتك. كان عليك اخطارنا بوقت وصولك وكان في استطاعة أحدنا ما أن يستقبلك في المطار.

- أنا... أنا علمت أن الطائرة ستصل في وقت متأخر جداً...

واختفى صوت صوفي. شربت بعض الشمبانيا. وأخبرت نفسها أن هذه مجرد بداية وأن الأمور ستصبح أصعب مما هي عليه الآن بكثير.

- لا يهم.

قال توج مقاطعاً استرسالها. نفث دخان سيكاره فصفقت راحة يمنى اهتماماً حوفيا.

- أنت هنا الآن. وهذا ما يهم. أليس كذلك؟

- نعم.

رنّت صوفي نحو أبيها كانت واثقة كي بدت وسألته:

- كم يبعد... بيتك؟

- يواتي سانت فنسنتي؟

سألها وهو يهز كتفيه:

- قرابة ثلاثين ميلاً شمالاً من هنا على الساحل.

نظرت صوفي الى كأسها وقالت:

- أنا... تطلّع الى مقابلة... جدي.

- أتوقع منك ذلك.

كانت عينا توج تخترقانها بهدوء يفقد الأعصاب.

- هل أنت مستعدة للذهاب؟

- الآن؟

- خلال بضع دقائق.

تذكرت صوفي فاتورة الفندق وهي تاسم صوفي سلاتر. نفض قلبها بصوت عالٍ مزعج. ترى ألم يكن في استطاعة أن يسمع نبضات قلبها هو أيضاً؟

- إذن انتظري هنا، سأذهب لأحضر متاعي.

أومى توج كأسه، وقال وقد ضاقت عيناه:

- حسناً، أنا في انتظارك.

أومأت صوفي برأسها وهرولت خارج الردهة نحو مكتب الاستقبال. كان موظف الاستقبال الهندي قد غادر ورأت مكانه فتاة من جزر الهند الغربية لم تكن رأتها قبلاً. اقتربت صوفي منها وعثرت على أنها ستغادر بعد بضع دقائق. كانت الفتاة مهذبة متفهمة. وافقت على تحضير الفاتورة بينما ذهبت هي لتجلب حقائبها.

أحست بأن القصد استغرق دهراً قبل أن يصل الى الطابق السابع، وعلق مفتاحها في القفل ولم يفتح الباب فوراً. وشعرت كأنها تقضي زمناً طويلاً جداً لتجمع اغراضها وتعود الى الردهة ثانية، واندهشت عندما علمت أنّ الأمر لم يستغرق أكثر من ربع ساعة.

تركت حقيبتها مع الخادم وعبرت الردهة الى مكتب الاستقبال. ونظرت حولها بسرعة وتأكدت أنّ آدج سانت فينسنتي لم يكن في الجوار. عندما ناولتها الموظفة فاتورتها دفعت صوفي المبلغ من دون أن تنظر اليها. ثم قعدت عاجلة الى حيث جلس آدج.

كان آدج سانت فينسنتي لا يزال جالساً ولكن هناك امرأة تجلس مكان صوفي. امرأة ذات شعر أحمر ناعم فستاناً عصرياً ذا ألوان صفراء باهتة. اقتربت صوفي منها بعصبية. لم يلحظ أي منهما وجودها ولم تعلم قطعاً اذا كان من اللائق أن تقطع عليهما حديثهما.

كان ظهر المرأة يواجه المدخل خلافاً لآدج. وفي اللحظة التي كانت صوفي ترمع فيها على الابتعاد نحوها فترك فجأة مقعده. ونظر بدهاء الى رفيقته وقال لها:

ـ هذه هي ابنة اخي يا ساندرا، ايف هوليندسلر. ايف تعالي لتجلسي على صديقة قديمة.

استدارت المرأة ببطء وصوفي تقترب نحوها، واستدت مرفقها الى الطاولة. كانت أكبر سناً مما ظنت صوفي في البداية، في الثلاثين من عمرها تقريباً، لكن تصميمها زادها جمالاً. ملامحها الكلاسيكية شرقية بعض الشيء. نظرت الى آدج من خلال جفون لوزية الشكل دلت على عراقة اوروبية، وهمست:

ـ لم أعلم أنك خال يا عزيزي.

ـ ألم تعلمي؟

قال آدج مبتسماً نصف ابتسامة:

ـ حسناً، يتعلّم المرء شيئاً جديداً كل يوم.

ـ هل يعلم بيرزان لديه ابنة عمة؟

ـ أتصوّر أنه يعلم مثل أي شخص آخر.

ردّ آدج بلباقة، ثم وكأنه أدرك أنّ صوفي واقفة تستمع الى الحديث بعض الارتباك قال:

ـ ايف، اسمحي لي أن أقدم السيدة ساندرا مارش. أنا وزوجها شريكان في شركة صغيرة على ساحل الخزيرة الجنوبي.

ـ تشرفنا.

صافحت ساندرا مارش بترقد. وشعرت بفتور من المرأة من غير أدنى سبب، واستبعدت أن يكون سبب ذلك النظرات التملكية كانت تلقيها على آدج سانت فينسنتي. فأمورة الخاصة لم تكن من شأن صوفي. لكنها أحست بأنّ المرأة التي تعامل شخصاً مثل ذلك الوغد الكبير يجب ان يكون من قبيل روحة لجهد زوجها.

ـ اذن انت ابنة جيفري!

قالت ساندرا مارش بترفع واضافت:

ـ وهل سيليح برانديت العمل المسن على شرفك؟

ـ برانديت؟

شعرت صوفي بخراغ في أحاسيسها للحظة ثم تابعت قائلة:

ـ آه نعم... جدي.

ـ اجل. لا بد أنه لان مع تقدمه في السن. كان مالياً يخسر بأنه لن يسامح أمك أبداً على ما فعلته.

ـ تكلمي يا ساندرا!

كانت لهجة آدج جافة، واندهشت صوفي كيف استطاعت كلماته أن تحطّم ثقة ساندرا.

ـ والان، عليك أن تعذرينا. علينا الذهاب.

وضعت ساندرا أناملها الطويلة على كتفه وناشدته:

ـ آه يا عزيزي آدج. بالتأكيد يمكنك البقاء في البلدة لتناول العشاء.

ـ مناسف لا استطيع.

ولمّرك آدج يعيداً فهوت يدها الى جانبها.

ـ تكلمي لم أرك منذ أمد بعيد!

ـ أعذر يا ساندرا.

ضغطت ساندرا على شفتيها ونظرت بمرارة نحو صوفي.

- ألست مضطرة لأن تذكريه بهذه الطريقة؟

سألتها بسخرية مكشوفة تقريباً وتابعت:

- إنه ثور مع النساء، ألست كذلك يا عزيزي؟

تجاهلها آدج ونظر متفرساً في صوفي:

- هل أنت جاهزة؟

أومأت صوفي.

- نعم. حقيبتي في الردهة مع أحد الخدم.

تحدثت بسرعة وأرادت أن تبتعد، فقد شعرت بدل المرة الأخرى وكانت أن تشغل عليها.

- حسناً. استبقي وسأكون معك بعد لحظة.

سمعت صوفي وهي تسير نحو الباب، توسلات ساندرا التي فارت البكاء ورفض آدج القاسي، وأتاها به قريباً، يمشي بلا اكتراث نحو الردهة وعندما نظرت إليه هذا غير متأثر بما حدث وارتعدت. لو خاطبها أي رجل مثلما خاطب آدج ساندرا ماوش لتمنت أن تختفي وفوت. ولكن ساندرا متزوجة. ألم يعنيها زوجها في شيء؟

حمل الخادم حقائب صوفي الى حيث توقفت سيارة آدج، ورأته يناولها خمسة دولارات. وتساءلت اذا كان هذا واجبها لكنّ انشغالها بأمور أخرى انساها الامر.

كانت الشمس قد غابت وبرودة المساء بدأت تحمل وعداً مطمئناً. حتى ازدحام السيارات في الطريق خفّ بعض الشيء. مع أنّ تجمع الناس في متاجر الجواهر الصينية والخمائر اقتدنية ومتاجر التحفيات والحفورات الخشبية استرعى انتباهها.

كانت سيارة آدج مرسيدس ضخمة بدت فارهة رغم الغبار الذي كساها. فتح باب السيارة ورمى حقيبتها على المقعد الخلفي ثم اشار اليها لتدخل.

أغلق آدج الباب ثم سار حول السيارة ليجلس الى جانبها. وضع يده على مقعد السيارة وجلس بحركة فيها لين وخفة. وضع المفتاح في مكانه.

ثم قال لها قبل أن يدير المحرك.

- لست مضطرة الى أن تتصرفي وكأني وحش. فلما لو كنتُ ذلك بالفعل ساندرا قادرة تماماً على الاعتناء بنفسها.

تحفّزت وجثا صوفي وقالت:

- لا تغري عليّ تتكلم!

- لا اجل، تعلمين.

وأصلح من وضع ثيابه وتابع:

- لدي بعض المعرفة عن بنات جنسك وأنا مدرك تماماً أنك تشعرين ببعض العطف تجاهها.

- لا شأن لي بالأمر.

- أنا واثق. ولكن وفري عطفك لشخص يستحقه.

ثم أدار المحرك وقاد السيارة بهدوء الى الشارع العام.

أعلنت صوفي تسمع صوت موسيقى متناغمة من مكان قريب، وجعلها الصوت النابض تشعر بصورة تركّب فجائية غير ارادية تشد عبر جسمها. كان صوت قرع الطبول بدائياً واخترق وعيها برعشة، فحدثاً رغبة في التفاعل مع الموسيقى. كانت معتادة على الموسيقى الجديدة في الوطن، لكن هذا كان مختلفاً. نظرت الى آدج سائت فينستي ولكنه بدا غير متأثر بالاصوات التي سمعاها بوضوح ولا أثار حدثاً بالنسبة اليه. ولكنها كانت جديدة وغريبة بالنسبة الى صوفي ونسيت لفترة أنها دخيلة وتنهدت باستمتاع، تنبه آدج الى صوتها، وسألها:

- هل أنت متعبة؟

هزّت صوفي رأسها وقالت:

- كلا، أليست الموسيقى رائعة؟

زمّ آدج شفتيه قليلاً.

- لماذا لم تسألوني الشيء نفسه بعد بضعة أسابيع.

- لماذا؟

- ثلاثة أسابيع وعلى عهد الكرنفال يستمعون هذه الموسيقى الى درجة تكفيهم معها ثم أنهم لم يخترعوها.

عانق آدج ثم أردف:

- افهم أنك تحبّين هذا النوع من الموسيقى.

- أحب الموسيقى على أنواعها.

أجابته صوفي وسألته ثانية:

- وأنت؟

هزّ آدج كتفيه وأجاب:

- لا أشك في أنك ستختلفين مع ابني أكثر في هذا المجال.

قال لها بشيء من التهكم. وجدت صوفي. ابن؟ لم تذكر ايف ابن آدج؟ ثم تذكّرت، عرضياً، شيئاً قاله سالدرا مارش ولم يترك أثراً عليها حينها. كانت قد سألت اذا كان بيرز يعلم أنّ لشبه ابنه عمداً طبعاً. كان عليها أن تفهم. اذا كان ابن خال ايف فهو حتماً ابن آدج.

بلعت ريقها بصعوبة وقالت:

- بيرز؟

نظر آدج ناحيتها برهة وقال:

- نعم. كم عمرك؟

- انا... انا في الخامسة والعشرين.

شعرت بالعرق ينصبّب على جبينها. كادت تقول اثنين وعشرين. وردّد آدج وهو يزن رأسه:

- في الخامسة والعشرين! تبدين أصغر سناً من ذلك.

- شكراً على الاطراء.

حاولت أن تبدو خفيفة لكنّها فشلت.

- كم... كم عمر بيرز؟

- لم يخبرك والدي؟

- ربما... ربما فعل ولكن... لكني نسيت.

- انه في السابعة عشرة.

احنت صوفي رأسها! أصغر منها بخمس سنوات فقط. اذن ما هو سن خال ايف هذا؟ ولماذا هي تهتم لهذا في أي حال؟

انحرف آدج بالسيارة وابتعد عن أضواء الشوارع الرئيسية متجهاً نحو

ضاحية معتمة، وبدت أشجار النخيل خلاّبة وضوء السيارة ينعكس عليها. كانا يتسلّقان تلالاً خارج البلدة والتفتت صوفي فرأت دنيا خلابة الاضواء ممتدّة دونها. وشعرت بوخزة خوف مزعجة. ففي الكنيسة كانت تشعر أنها لا تزال تتحكّم بمصيرها بطريقة ما، اذ كانت قادرة على الهرب الى الكنائر والتخلّي عن مهمتها اذا اتضح لها أنها مستحيلة. لكنها الآن أصبحت هنا مرتبطة بالدور الذي وافقت على القيام به، وعلمت غريزياً بأنّ آدج سانت فينسنتي لن يخفي أي شكوك تراوده في ما يختصّ بها. لم يكن من نوع الرجال الذين يمكن أن تلهو معهم، واذا ما اكتشفت أنها كانت تخدعهم...

كان النسيم البارد الذي اندفع عبر نافذة السيارة المفتوحة مفعماً برطوبة البحر. واستنشقت صوفي أنبها قريبان من البحر ولكنها لم تستطع أن تميّز شيئاً عدا لمعان ضوء القمر الباهت. ورغم صعوبات وضعها، شعرت برغبة في رؤية الساحل في النهار. كان كل ما رأته في الجزيرة تقريباً مليئاً بالحياة واللون والحيوية، واقتنعت بأنّ الشواطىء الرملية والروح الأخضر لن تكون أقل اثارة. فقط لو أمكنها التفكير في تلك الأشياء وعدم القلق...

قال الصمت بينهما وشعرت صوفي بوجوب القيام بجهد لتكسره، محاولة أن تظهر عادية، فقالت له:

- اخبرني عن بوانتي سانت فينسنتي. هل... هل هو اسم منزل والدك؟

وانتبهت متأخّرة الى أنه كان عليها أن تقول منزل جدي، لكنها لم تستطع تغيير ما قالته. لكن بدا أن آدج لم يلاحظ هفوتها واجابها:

- كلا، بوانتي سانت فينسنتي هو اسم البقعة حيث يوجد المنزل. أما المنزل فلا اسم له، عدا أنه معروف محلياً كمنزل عائلة فينسنتي.

- يبدو ذلك رائعاً.

- هكذا؟

وزمّ آدج شفتيه:

- ظننت أنه لن يروق لك.

- لماذا؟

- حتى السبب واضح. علمت بوجودنا منذ عشرين عاماً لكنك لم تقومي بأي جهد للاتصال بنا.

تردّدت وجدتا صوتي وأجابت بتلعثم:

- انا... أنا فهمت أن... أنّ جدّي رفض التعامل مع والدي.

- هكذا. لكنه كان سيرحب بكلمة منك. فأنت حفيدته في أي حال.

الوجه البري، في الغضبة.

تأملت صوتي بارتباك.

- انا... نحن لم نتحدّث في الأمر مطلقاً.

- لم تفعلا؟

احكم آدج يديه على مقود السيارة عند منعطف حاد.

- اري الأمر صعب التصديق.

- أنت لا تفهم ما حدث.

تحدّثت صوتي وهي تتكلّم. فهي سمعت رواية ايف للقصة وكان في امكانها أن تتفهّم معضلتها.

- والدي لم يتقبّل موت والدتي أبداً. فقد أحبّها كثيراً جداً. ولم يستطع أن ينسى التي كانت السبب المباشر في وفاتها. أنا... أنا لا أقول أنه لامعني، لكني كنت أذكّره بها دائماً. حسناً، ألا تستطيع أن تفهم؟ لم يكن في استطاعتي الاتصال بجدّي في تلك الظروف. فالأمر كان سيبدو نوعاً من الخيانة.

فكر آدج في الأمر وقال:

- استطيع أن أفهم ما تحاولين قوله، لكني لا أقول أني واثق عليه.

- في الواقع أنّ... أنّ جدّي لم يكن متفرجاً بريئاً في هذه القضية، أم هو كذلك؟ أعني، انه كان مسؤولاً عن هذا الانفصال في البداية.

- ربما كذلك. اذكر أنه كان عزيق المكر. جيفر كانت دائماً يؤنبه عليه، وكانت صدمة عظيمة له عندما اختارت أن تتجاهل كل شيء فعله لأجلها أو ما قد يفعله... من أجل مهندس مغلس!

- هو... أعني والدي، لم يكن مفلساً؟

- بالنسبة الى ثراء والدي كان كذلك.

- اعتقد أنه اراد هذا أن تتزوج لمصلحة؟

- اذا قصدت بكلمة مصلحة، شخصاً مناسباً أكثر، أجل. كلمة مصلحة لها معان اخرى.

قاطعته صوتي من دون أن تقدر على التحكّم بنفسها:

- وهي ايضاً تعني زواجاً يعتمد الواقع أكثر من اعتماده للمدأ!

- كان في امكان هوارد فليمنغ ان يسعدها.

- كيف يمكنك ان تقول ذلك؟

انزعجت صوتي من برودة نبرته.

- الوضع أنها لم تحب هوارد فليمنغ هذا، والآ لما هربت مع جيمس هوليستر!

ضاقت عينا آدج فتأملت صوتي رموشه السوداء الطويلة وهو ينظر اليها.

جيمس هوليستر؟

ردّد بعدها واضاف:

- هذه طريقة غريبة للتحدّث عن والدك.

علمت صوتي أنّ عليها تبرير الأمر فقالت متحدية:

- لماذا؟ اسم والدي كان جيمس هوليستر، أليس كذلك!

حوّل آدج انتباهه الى المنعطفات الخطرة في الطريق.

- اذا اصرّيت على ذلك.

علّق بهدوء، وتساءلت صوتي بعض الشيء هل تخيل أنها تسمع نبرة عدم التصديق في صوته. بالتأكيد كان يصدّق أنها من ادعت شخصيتها، والآ لما أتى بها الى هذا المكان؟

ثم سألت لتغيّر الموضوع فجأة:

- كم نبعد عوانبي سانت فينسنتي بعد؟

نظر آدج الى ساعته الذهبية واجاب:

- ربع ساعة اخرى.

وارتخت صوتي أكثر في مقعدها. قريباً سيصلان وكان عليها تحضير نفسها للامر الواقع الذي ستعيشه مضطرة.

عند وصولها الى الطريق المؤدية الى المنزل كان العصر قد أطل. واستطاعت صوفي أن ترى في نوره الخافت المنحدرات المشجرة التي تؤدي الى مرفأ طبيعي تحت المنزل حيث تلعب ظلال البوت العائمة على صفحة الماء. لكنّ المنزل ذاته هو الذي عقد لسانها فقد أضفت الحدائق الفضاء لوناً غريباً على واجهته البيضاء. كان منزلاً من طابقين وبدا منتصباً مع التلة نفسها وأضاءت زهور مختلفة الألوان بالتدرج المؤدي الى موقف السيارات وامتلأت أقسام البيت المختلفة بارتياح في الاتجاهات دونما أي اعتبار للتصميم او التوازن. لكنه مع ذلك بدا أحد أجمل المنازل التي رأتها.

أوقف آدج الرسيدس في الفناء المبلّط بجانب البيت، وسمعت صوفي وهي تفتح بابها وتخرج من السيارة صوت أمواج المحيط تتلاطم على الصخور دونها. وظنّت أنه من السهل جداً على المرء أن يزهو بنفسه في مثل هذا المحيط لكن آدج صاحت فيستني بدا غير أبه للامر.

خرج من السيارة، وفيما كان يهلب حقيبتها من المقعد الخلفي هرع شخص ما نحوهما. وعندما قرب الوافد الجديد، رأت صوفي أنه خادم أسود البشرة يرتدي سروالاً أسود وسترة بيضاء أنيقة، وابتسم لآدج ابتسامة سهلة مألوفة.

- والدك قلق عليك يا سيد آدج.

قال له وهو يأخذ الحقيبة من يد سيده بخفة. ثم نظر ناحية صوفي.

- هل هذه ابنة الانسة جينفر؟

رمّت شفتا آدج:

- هذا صحيح يا جورڤ . هذه هي الانسة ايف هوليستر.

اوما جورڤ بحرارة ناحية ايف:

- ان السيد براندت سيكون سعيداً جداً برؤيتك يا آنسة ايف. لم تأت أية صبية الى منزل سانت فينستي منذ فترة طويلة!

نظرت صوفي الى آدج الذي وقف الى جانبها بعدم اكتراث وعقد أصابعه الى حزام سرواله وهو ينظر الى جورڤ باستكانة كسولة. وفكرت أنّ رشاقته ظاهرة في كل ما فعله. فهو يتحرك بسهولة، أو بكسل. لكنها تستطيع أن تشعر بالقوة الخفية التي تكمن فيه، القوة الخشنة. كانت هذه

هي الصفة التي ازعجتها فيه، كانت تشعر بوجوده وازعجها ذلك الى درجة ما.

انتبه جورڤ الى أنه كان يؤخرها وتراجع كي يسمح لآدج بأن يأخذ صوفي عبر الدرجات الى المنزل. استطاعت أن تسمع صرير الصرصار المستمر فوق سطح البحر، وكان عليها كبت شعور الاثارة الشديدة الذي كان يحتمل في داخلها ويضغط على صدرها.

وقفت على مدخل المنزل عندما وصلا نهاية الدرج، اصطدم آدج بها وتلمحظة امسكت ذراعه واعتذر منها.

- كانت غلطتي أنا.

قالت صوفي بعصبية غير مبررة لما أنها شعرت بقربه منها.

قادها آدج عبر باب مشبّك الى قاعة باردة. وبدت القاعة كأنها تمتد من أول المنزل الى آخره وتتفرع منها غرف عدة، وسلم لولبي يؤدي الى الطابق العلوي. ورأت اناء مليئاً بالأزهار الرائعة على قاعدة طويلة بزرت الأزهار منها على نحو غريب. وأثار القاعة مصباح ذو قاعدة نحاسي له اطار مزدان برسوم صينية.

نظرت صوفي حولها بعض الاندهاش. كان هناك الكثير من اللون والجمال لتنظر اليه، ولكن آدج حثّها على السير وأخذها عبر القاعة وصعد بها بضع درجات ووقف أمام باب أزرق اللون.

- هذه مكتبة والدي.

قال لها مفسراً ثم فتح الباب.

دخلت صوفي الى غرفة مؤثثة بطريقة توحي الراحة، أرضها مفروشة بسجاد من جلود الحيوانات وهيمنت طاولة على المنطقة الرئيسية منها. وجدرانها مليئة بكتب جلدية مرصوفة وخزائن فيها ملفات وأريكة، وطاولة صغيرة عليها آلة طابعة وسلّتان للاوراق. كان واضحاً أنّ براندت سانت فينستي يدير شؤون الورشة من هنا. ثم نهض رجل من خلف الطاولة يحيّيها. واحمرّت الغرفة عندما ركزت انتباهها على الرجل.

لم يكن براندت سانت فينستي يشبه ما تصورته أبداً. فبعد ما توسلت ايف دعاءها الى تريتيداو من أجل التخفيف عن رعل عجوز كانت صوفي

تتوقع أن تجد رجلاً في السبعين من عمره، ضعيفاً ومعتلاً، يعيش كل يوم من دون أن يعرف حقيقة، ما اذا كان سيعيش اليوم التالي.

كان الرجل الماثل امامها مختلفاً تماماً. ومثل ابنه، بدا أصغر من عمره بسنوات، وقدرت أنه في أوائل الستينات. اضافة الى ذلك كان رجلاً في أوج نشاطه، طويلاً وعريض المنكبين والصدر من ابنه لكنه يشبهه جداً. شعر كثيف بدأ يغزوه الشيب وملامح قوية مليحة.

نهض برخت بها وتقدم منها قادراً تراجعه. وضعت يديها في يديه بصورة آلية غير قادرة على تكران الترحيب الذي أبداه نحوها وهتف وهو يهز رأسه:

- اذن أنت ليف ابنة جينيفر، أكاد لا أصدق!

- لماذا؟

سألته خجلاً لكنه لم تستطع التفكير بأي شيء آخر لقوله.

ضغط برانديت على يديها وقال بالفعل:

- لقد انقضى زمن طويل. ثم استعاد الزمام وتابع:

- أفترض أنك لا تعرفين الكثير عن والدتك.

- لا أعرف الكثير عنها

اعترفت صوفي بخجل

- انها... نادراً ما تحدثت والدي عنها. كان... كان الأمر يؤلمها.

تبدلت ملامح برانديت عند ذكر جيمس هوليستر. ضغط على شفتيه واحنى الدقيه من عينيه الزرقاوين، وقال:

- اعتقد أنه من الأفضل أن نتبع الماضي وننظر الى الحاضر. ألا توافقين؟ أعني من الواضح أن التحدث في بعض الأشياء، سوف يكون مؤلماً لكلينا. ولا فائدة من استذكار الأحزان الماضية؛ وصدقيني كلانا تألم بما فيه الكفاية. لذا أقترح أن نبدأ من جديد. ألا نتصرف الى بعضنا من دون التأثيرات المشوّهة التي خلقها أناس آخرون منذ مدة بعيدة.

اومأت صوفي موافقة بخجل وهمست:

- ان... أنا مستعدة.

ثم نظرت الى يديها في يديه.

- حسناً، حسناً.

ورنّ تحيير برانديت ثانية.

- لا يمكنك أن تعني كم أسعدني. لقد انتظرت بحيرتك الى هنا ومقابلتك بفارغ الصبر. نحن عائلتك الآن وهذا هو مكانك لي. أن أعتقد أن لديك عملك، لكن بتأكيد يجب أن ذي العائلة في المقام الأول قبل أي شيء آخر!

صفقت فيه صوفي. لم تعلم تماماً كيف تجيب. وهتف قائلاً:

- استرخي! لا تضطربي. سيكون وجود امرأة شابة في البيت مرة أخرى رائعاً.

نظرت صوفي وراءها. كان آدج يقف بضعت قرب الباب يراقبها واضعاً كسولة على شفتيه بينما كانا يتحدثان. ثم اقترب منها وقال:

- جوزف قال الشيء نفسه. لو علمت أنكم متشوقان لوجود امرأة...

اخفى صوته عرضياً ونظر برانديت بفارغ صبر الى ابنه وقال:

- لا تكن متهكماً يا آدج. اذا كنت استطيت ابنة احدك على هذا النحو فأنا لا أستغرب أن تكون مضطربة!

نظر آدج الى صوفي وقال:

- حسناً، ربما لسنا ما توقعت هي أيضاً

صاح برانديت:

- ماذا تقصد؟

هز آدج كتفيه:

- لا لا شيء.

ثم حوّل نظره بعيداً عن صوفي وأخرج علبة سيكار من جيبه.

- أظن لي حاجب ولسان لبقي للعشاء. أشعر بحضر التعب.

وبرقت عيناه ناحية صوفي ثانية، ثم تابع:

- ربما ترغب ابنة اخي في أخذ حمام وتبدل ملابسها أيضاً.

أجابت برانديت بمنتهى صوفي معتذراً وأخذ يحرر قادوقاً وهتف:

- ضحاً. شعاراً فزارة مضيفتك أبستي أسوأ الضيافة. طبعاً لا بد أنك أنت وتعبة. سوف ترينك ويوليت غرفتك ثم تعالي بعيداً. وتظر الى

ساعة، بعد نصف ساعة؟ أتعتقدين ذلك وفقاً كافياً لتكوني جاهزة؟

- طبعاً.

وشبكت صوفي يديها وأردفت:

- انا... انا أريد ان اقول بانني سعيدة جداً لكوني هنا.

ساد لاوج والسيكار في فمه ناحية الباب:

- لم أسمعت القول.

فلن يمكر وشدّت صوفي قبضتها:

- لماذا تعلي عملك.

نصحها برانديت ونظر الى ابنه مويحاً:

- ان سلوك لاوج منهكم.

فتح لاوج الباب واسند نفسه اليه ليرحة ثم علق بكسل:

- أنت دائماً تقول بأننا متشابهان في كثير من الامور يا برانديت.

ثم اغلق الباب خلفه.

بدت الغرفة خاوية بعد ذهابه ونظرت صوفي بارتباك الى جد ايف، وهمست:

- انهيك متوتر جدا. انا متشوّقة الى رؤيته في النهار.

- أنه فعلاً.

بدا برانديت مسترخياً ثانية واقترب منها وهو يبتسم:

- انا متأكد بأنك ستكونين سعيدة هنا يا ايف. فأنا أتوي أن أجعل اقامتك متعة الى درجة لن ترغبي معها في مغادرتنا ثانية. لدينا الكثير هنا ليستأثر باهتمامك. السباحة والابحار والغطس. اذا كنت مغامرة بما فيه الكفاية فلاوج ويرز بانتظارك. ايها يقضيان ساعات طويلة على متن التركب. طبعاً، الجزيرة نفسها جنة حقيقية لمحبي الطبيعة. لدينا فصائل متنوعة كثيرة من الطيور يجب أن تأخذك الى غابة المصاغير في كارولي، وتكيد مضيفاً، اترين يا عزيزتي، منذ الآن انظر الى الاسابيع القليلة بالكثير عظيم.

انقذ قرع الباب صوفي من الاجابة على هذه الخطبة الصغيرة. وسأل برانديت من الطارق فدخلت خادمة سوداء وابتسم لها.

- آه فيوليت.

خاطبها ووضع ذراعه حول صوفي.

- يا عزيزتي ايف، اسمحي لي أن اقدم اليك كاترنا فيوليت.

فضحكت المرأة السوداء وتابع قائلاً:

- انها تدخل الراحة في كل حياتنا من دون أن تقدّر ما ذلك حقا. أليس كذلك يا فيوليت؟

- اذا قلت ذلك يا سيد برانديت.

وخوّلت عينا فيوليت البنكتان صوب الفتاة:

- كيف حالك يا آنسة ايف؟ اني مسرورة للقائك.

- مرحباً فيوليت.

قالت صوفي مبتسمة.

- هل لك أن تأخذي ايف الى غرفتها؟

قال برانديت ودفع صوفي برفق الى الامام وأضاف:

- ثم نتناول عشاءنا بعد نصف ساعة.

- نعم يا سيدي برانديت.

تراجعت فيوليت الى الوراء حاملة

- هل لك أن تتبعيني يا آنسة؟

بعد أن ابتسم جداً ايف مرة اخرى مشجعاً، ذهبت صوفي مع فيوليت عبر الدار الى القاعة.

سارة باتجاه الدرج وبدأتا تصعدانه عندما دخل شاب عبر الباب المشبك وراءهما. كان طويل القامة نحيلاً، وأبرز سرواله الضيق وقميصه القطني جسمه النحيل. ونظر مندهشاً عندما رآهما واتخل نظره ان صوفي كيا فعل لاوج. واستنتجت صوفي أنّ هذا هو بيرز لكنه لم يكن أسمر كوالده الما شعره مسترسل وملامحه الكسولة جذابة وأقل عدوانية من ملامح والده.

- اهلاً. اهلاً.

قال وهو يقترب من أسفل الدرج:

- لا بد أنك ايف، هل أنا مصيب؟

لاحظت صوفي أنّ فيوليت وقفت تنتظر منها أن تجيب بيرز، فأومأت

www.liilas.com

قائلة:

- نعم. انا ايف. وانت بيرز بالطبع.

- أخطئي بهذا الامتياز المشكوك فيه.

أجابها بيرز ضاحكاً وأكمل:

- الن يبطئي لتسلّمي على ابن خالك المفقود؟

انحنت فيوليت على السور وقالت:

- السيد براندت قال إنّ العشاء سيكون بعد نصف ساعة يا سيد بيرز والآنسة ايف تحتاج الى ذلك الوقت لتغتسل وتحضر نفسها.

كشر بيرز وقال باستهزاء:

- عشاء عائلي، هل قابلت عائلتنا يا ايف؟

تردّدت صوفي قبل أن تجيب:

- الجميع باستثناء عمة امي روزالينا على ما اعتقد.

- روزا!!

قال بيرز وزمّ شفتيه، ثم تابع:

- آه حسناً، انها الوجبة الأخيرة لك.

- سيد بيرز.

قالت فيوليت موبخة:

- اعلمي، أعلم انه يجب ألاّ اتكلم مع كبار السن بقلة احترام، لكن لا تأثري كثيراً بما تقوله يا ايف.

وقرت نظرة فيوليت المتمرّة الاجابة على صوفي، عندما تابعت الخادمة صعودها السلم، تبعتها صوفي من دون أن تنظر الى الوراء.

لكنها ابتسمت. فقد أحبت بيرز. كان لطيفاً وغير معقد. وطّنت أن في امكانها أن تفهمه. لكنها لن تفهم والده أبداً، حتى بعد مليون سنة...

٣ - حفيدة... لكنها غريبة

كانت غرفة صوفي تقع على أحقية المستديرة من المنزل، وعندما خرجت الى الشرفة في الصباح التالي كان نفسه ان يقطع بسبب جمال المنظر الذي فاجأها.

تحت الدرجات المنطبحة المؤدية الى الحديقة الخلفية مع أدوج الزينة السابقة، انحدرت الحديقة الكئيبة الاخضرار لتختفي عند حافة هوت بحدة الى البحر. وبما انها علمت بوجود بيوت عائمة في الاسفل استنتجت انه يوجد سبيل للنزول الى الشاطئ في الاسفل، والبحر نفسه كان خلاباً ازرق ساحراً تتلألأ صفيحة مياهه وتلمع في اشعة الشمس الساطعة. صار الطقس دافئاً جداً وتمنت صوفي الو لم تتم جهداً ان تخلع ثيابها وتغطس في تلك الاعماق التي دفأتها الشمس.

لكنها لم تكن تعرف عادات المنزل بعد. ومع انها تمت اكتشاف ما حولها لكن يجب ان تنتظر من يدعوها الى ذلك. وهكذا اكتفت بالاستحمام في الحمام الرائع الملاصق لغرفتها وفكرت جدياً بالوضع الصعب الذي زجتها فيه ليف.

اصبح واضحاً اكثر فأكثر ان اسباب اختفاء ليف اعمار الذرية الخفية عما كان خطة متعمدة، فهي لا بد علمت ان صوفي لم تكن لتوافق على الحضور لو لم تستطع ان تستثير الجانب الحاطفي من طبيعة صوفي. واوشكت هذه ان تغضب جداً لكنها لم تستطع انكار موجة الانارة الصافية التي غمرتها عندما فكرت في الاسابيع القليلة.

في اي حال، فكرت وهي تعود الى واقعها ان وضعها لن يكون سهلاً ابداً ولم تفهم لماذا اختارت ليف ان تتظاهر بان حدها لم يكن يعلم مهنتها بينما الحقيقة هي عكس ذلك. الا اذا كانت تخيلت لسبب وجيه ان صوفي سترى في الأمر مساً اخر لعدم المحاطرة في المجيء. في اي حال، فمدى معرفتها لهذا الجانب من شخصية ليف كان ضئيلاً جداً.

لكنها رفضت ان تغلق الآن. كان هذا يومها الأول في تريتيداد وقررت ان تستمتع به ما استطاعت.

لفت منشفة كبيرة حول جسمها الرشيق وعادت الى غرفة نومها. بينما كانت تتناول طعام العشاء في الليلة السابقة كانت ثيابها قد علقت في الخزائن الطويلة. وفتحت باب احدى الخزائن ونظرت في داخلها باعجاب.

كانت قد جلبت معها الكثير من الملابس الصيفية وبعض السراويل والفساتين ورداء خاصاً بالسهرات واختارت ان ترتدي تنورة قصيرة بيضاء ذات ثنايا معطرزة بحاشية زرقاء وبلوزة قطنية زرقاء جعلت بشرتها تبدو شاحبة قليلاً. وفكرت بلهفة بمتبدل كثيراً من الثياب اذا ما قدر لها البقاء لفترة كافية في هذا المكان.

وفيما هي تفكر في البقاء في المكان تذكرت عشاء الأمس. كانت امسية غير حقيقية اذ جلس آدم المتهكم الى رأس المائدة الطويلة وابوه في الطرف المقابل. كانت المائدة مغطاة بلوح من الزجاج والشمعدانات وسيلة الانارة الوحيدة. فكرت صوفي ان الضوء الخافت وخيالاتها جعلتها تشعر بأن نظرة

آدم كانت شيطانية كلياً نظر نحوها.

كان براندت لطيفاً ولفتها ان شقيقه روزاليند بفخر ظاهر. لكن صوفي لم تشعر بالاطمئنان معه هو الآخر. فهي كانت تخدعه. كانت دخيلة. ولا شيء يغير ذلك.

لكنها فهمت ما قاله بيرز عن عمته. لا بد انها كانت جميلة يوماً ما، الا انها الآن اصبحت عجوزاً عن كانته في الأمس، فبدت كأنها لا تزال تعيش الماضي، عصبية وشاردة الذهن وبدت اكبر سناً من اخيها القوي وفكرت صوفي انه ربما كانت والدة ليف عقدة عندما هربت وهي فانونة، لكنها انت نفسها لتفكير قبل تلك الطريقة. ومن يدري ربما اثر رجال هذه العائلة على نسائهم. وعرفت جيفير ذلك مثل اي شخص آخر.

وبدا لصوفي انها لا تستطيع ان تكون طبيعية الا مع بيرز فهو يتحدث معها بشكل طبيعي، سألها اسئلة عن لندن استطاعت الاجابة عنها بصدق ومن دون انكماش. غير انها كانت تشعر دائماً بأنه وهو يراقبها وسرت عندما انصرف آدم بعد العشاء. لم يسأله احد عن وجهته وهو لم يقل شيئاً، لكن الجو اختلف بشكل واضح بعد انصرافه. كانت تصفف شعرها عندما سمعت اصواتاً وشخصاً ما يصفر في الباحة. فوضعت فرشاتها جانباً وعبرت الغرفة سريعة ونظرت عبثاً من الشرفة. لم يكن هناك داع الى القلق. كان هناك آدم وبيرز والخادم متهمكين الى درجة لم يلتفتوا معها صوب الشرفة في الطابق الأول. كانوا يعبرون الباحة معاً ويحملون لافتة واسطوانات الاوكسيجين. لم تستطع صوفي الا ان تضحك. فهذا ما اراده ان تفعله تماماً. كانت متأكدة من ان الفيلا حول بواتي ساحت فسحتي عليه بالأسماك والحياة البحرية. اختفى الرجال عبر ممر لم تلاحظه صوفي سابقاً لكنها انتبهت الآن الى انه يؤدي الى حافة الصخور. والغلب الظن انه يؤدي الى الدرجات المفضية الى الخليج. وتساءلت وهي تدخل غرفتها عن سبب شعورها بالكآبة فجأة. كان يفترض بها ان تشعر بالراحة بسبب غياب آدم وبيرز لكن الواقع كان مخالفاً. ربما سبب ذلك انها تطلعت الى رؤية بيرز ثانية وبدا لها ان اهلها سيحبب.

كانت الساعة تجاوزت التاسعة عندما غادرت غرفتها وبرزت الى القاعة

وهناك التفت احدى الخادمات وسألتها اين يفترض بها تناول طعام الافطار.

كانت الفتاة تنظر اليها باستغراب وابتسمت صوفي ان موقفها لم يكن اعتيادياً لكنها لم تكن معتادة على اصدار الأوامر.

ولحسن حظها ظهرت فيوليت في تلك اللحظة وبدا الاهتمام عليها حين رأت وقوف الخادمة الاخرى وسألت بعدها:

- ما الخطب يا آنسة ايف؟ هل تعاملت عليك هذه الفتاة؟ ليزا اذهبي الى المطبخ، سأراك في ما بعد.

- لم يحدث سوء يا فيولينت. ببساطة انا لا افهم اين اتناول الفطور.

- آه...

ودمدمت فيولينت، لكن اشارة من اصبعها جعلت الفتاة ليزا تهرع نحو المطبخ. وهزت برأسها وهي تخاطب صوفي:

- أنت جائعة، أليس كذلك؟

- قارباً.

- حسناً، حسناً. تعالي من هنا.

ارشدتها فيولينت الى غرفة مشمسة على يمين الخادمة تطل على باحة مع منظر الحديقة الغنية امام المنزل وكانت هذه الغرفة صغيرة بالنسبة الى مكاتب براندت والقاعة التي جلسوا فيها بعد العشاء ليلة امس. فيها طاولة مستديرة مغطاة بالزجاج قرب الابواب الفرنسية الطويلة وخزائن طويلة مليئة بالصحون والأكواب.

- اذهبي واجلسي على الشرفة وسأجلب ترويدتك خلال ٥ دقائق. هذه الغرفة الصباحية. يتناول السيد براندت طعام الغداء هنا عادة، كي نستكشفون بمفردك من دون شك.

- شكراً يا فيولينت، الفي الا تكون مصدر ازعاج.

بان الدفء في عيني فيولينت

- بحق السماء لا يا آنسة ايف، ان وجودك هنا متعة. لقد اعتنيت بوالدتك فور ولادتها وكنت دائماً انتظر اليوم الذي سأعتني فيه بطفلتها هي ايضاً.

وتابعت بشيء من الحزن:

- وكأنما سأجد الاهتمام بابنتها متعباً. يا آنسة؟

شعرت صوفي بالكدر. لماذا قالت فيولينت كل هذا؟ كانت تشعر بالارتياح حتى اللحظة لكنها الآن احداث تشعر بخداعها مرة اخرى. وسارت بسرعة نحو النافذة وغيرت الحديث فجأة:

- اليس المنظر خلاباً؟ لا اظن اني رأيت اجمل منه ابداً.

حدقت فيولينت وقالت بثبات:

- على الاهتمام بتطوركِ يا آنسة.

ثم غادرت الغرفة.

استدارت صوفي وشعرت بكآبة شديدة تغمرها. كانت تتمنى اكثر واكثر لو انها لم تسمح لايف بالاخلاص عليها في المجيء الى هذا المكان. واحتفت حماستها في بعض احداث النهار. لكن عليها ان تستمر الآن، وكلما اسرعت في التوقف عن توبيخ نفسها كان افضل لها. كان عليها ان تتصور انها تلعب دور ايف هوليستر، ويجب الا تسمح لمشاعرها الشخصية بان تتدخل ابداً.

استمتعت صوفي بالفطور الانكليزي الذي احضرته فيولينت. كانت لحسن ثالث فنجان قهوة عندما فتح الباب وظهر جد ايف.

- صباح الخير يا ايف.

قال لها بحرارة ظاهرة وسار نحوها وشد على يدها مودة.

- جعل ان اراك هنا الى جانبي. هذا مكانك. والآن اخبريني. كيف كان نومك؟

- جيداً جداً... شكراً لك يا... جدي؟

- تجدين صعوبة في قول تلك الكلمة، أليس كذلك؟

وعندما لم يصدر منها اي رد فعل، تابع حديثه:

- جدي! تجدين صعوبة في التفكير بأني جدك؟

لم تعلم صوفي لماذا تجيب

- آه... ليس بالفعل.

لكنه لم يقتنع.

- اعتقد ذلك. ولكن يمكنك مناداتي براندت كما يفعل بيرز. هل يناسبك ذلك؟

حدقت فيه صوفي.

- انا... انا لم يكن لديك مانع.

همست بارتياح وتساءلت عما كانت ستقول ايف لو هي في وضع مشابه.

- حسناً، حسناً.

بدا براندت مكتئباً وارزف:

- ربما سنجد طريقة لمخاطب الغرب مع الوقت ولكن هذا يكفي الآن.

ابتسمت صوفي. وتابع حديثه:

- هل اعيت فطورك؟

اومأت برأسها.

- أجل كان شهياً. استطيع من الآن ان اتخيل كيف سأصبح بدينة خلال اقامتي هنا.

- اذن ما رأيك في القيام بجولة في اعلاكي، هذا اذا كنت مهتمة.

- الاعلاك.

رددت صوفي بنعومة وبهجت.

- أه نعم، ابو ذلك. لكن، الا تريد تناول طعام الفطور؟

- التناول فطوري في السابعة والنصف صباحاً في غرفتي.

اشهرها براندت وهو يضع يديه في جيبي سترته. وفكرت صوفي كم تخالفت كلماته وصورتها عنه. كان رجلاً قوياً مهيباً، انضباطياً مع نفسه ومع الآخرين، ملتحياً عن العيش السهل، مفضلاً الانضباط الذي مارسه دوماً.

ثم اعتدل في وقفته وسألها اذا كانت مستعدة للذهاب فوراً.

- نعم، اعتقد انني مستعدة.

ونظرت صوفي ناحية الاطباق القارغة وقالت:

- الا تعتقد... اعني ليس الافضل ان احمل هذه الاشياء الى المطبخ؟

قطب براندت واجاب:

- طبعاً لا. ستعتني احدى الخدمات بالأمر. هذا عملهن.

ولاحت ملامحه وهو يقول:

- عليك ان تعتادي على السماح للآخرين بخدمتك. لا اظن انك معتادة على ذلك في الماضي.

- كلا.

هزت صوفي رأسها:

- هل سأحتاج الى معطف؟

- لا اعتقد. بالمناسبة سنذهب في سيارتي. هل تركبين الخيل؟

- كلا...

اجابت صوفي فوراً ثم شعرت باشتداد احمرارها. ايف تستطيع ركوب الخيل. كانت تعلمت في مدرسة الفتيات التي ارسلها والدها اليها. تذكرت انها اخبرته ذلك في الماضي. ثم هدأ روعها اذ ان براندت لا يعلم بالأمر والا لما سأله.

- اذن هذا امر آخر علينا تعليمك اياه.

قطبت كلماته حبل افكارها وهدأتها. ثم وضع ذراعه حول كتفيها.

- تعالي. دعينا نذهب. اني اتطلع الى ان اريك المزيد من المنطقة.

كانت ممتلكات عائلة سانت فينسنتي شاسعة كما توقعت صوفي. تحت فيها الشجار البن. وقال براندت ان الموسم كان جيداً وامّن معيشة الكثيرين غير ان مصدر دخله الرئيسي يأتي من أخواه الآخرى من الجزيرة، من امتيازات النفط التي جنى منها ثروة لا تحد والتي اصبحت عماد الاقتصاد في الجزيرة.

الا ان الشجار البن بالنسبة الى صوفي شيئاً حقيقياً واساسياً، وكانت سعيدة انها لم تضطر الى رؤية آبار النفط وما جاورها من آليات.

وفتنها رؤية الشجار النور في حالتها الطبيعية والشمر يتدلى منها موفراً الظلال. كانت الحرارة مرتفعة جداً حتى داخل السيارة وتطلعت الى جوديها والى الدوش البارد.

في اي حال، استمتعت برفقة براندت. ومثل جميع الرجال المعاصرين كان يعرف كل التفاصيل عن عمله، وشرح لها عن حياة حمة النمل من بدء

تكويمها في البرعم الى تحويلها الى لوح شوكولاته. فكرت صوفي بالمصاعب الجمة التي واجهت مزارع القهوة. واثر عودتها الى المنزل شعرت انها تلم بالموضوع الى درجة كبيرة. ولم تستطع الا ان تتساءل عن رد فعل آدم اذا ما بدأت تبحث معه العلاجات المحتملة لمرض جرثومي يصيب النباتات. ولم تشعر بالارتياح الا عندما زارا الحدى القرى كي تخرج على اكوام حبوب البن المتجففة. فقد راعها رؤية مستوى معيشة الناس، بعكس برانديت الذي لم يتأثر عندما ذكرت الأمر. وكان واضحاً انه لم يرَ ما يزعج في نقصان النعم. ولم ينظر الى موضعه على انه غير.

- انك متأففة جداً يا ايف.

قال لها في طريق عودتهما.

- فالشارع كافية، والمدارس مجانية. ولذا عانوا من تكاثر تسلهم فاللوم يقع عليهم.

قالت صوفي:

- لكن يجب ان يكون هناك بعض القيود.

فرد عليها برانديت بان هز رأسه.

- عندما تبدأين بوضع قيود على حياة الناس، يشعرون بالدكتاتورية.

احتجت صوفي:

- تحديد النسل ليس كذلك.

- هنا يقول الناس ما يعطيه الله شاكرين. اسمعي سعداء يا ايف! لم للاحظي ذلك؟ المتقدين ان المنازل والخدمات الطبية هي التي تجعل الناس سعداء؟

تحفزت صوفي وقالت:

- لم اقل ذلك.

- كلا، انما هذا ما عنيته. الست كذلك؟

وابتسم برانديت.

- استطيع ان ارى ان علينا تثقيفك بطرق عدة يا ايف.

كان الوقت بعد الظهر عندما عادا الى المنزل. واعتذرت صوفي وصعدت الى غرفتها. واستحممت. ثم تمددت على سريرها واستراحت.

كانت متعبة من الحرارة والتوتر فلم تقلع في محاولتها النوم. سمعت طرقاً على بابها. ورأت خادمة تدخل وهي تحمل صينية عليها ابريق صغير من مشروب الشوكولاته الثلجة وبعض قطع البسكويت.

اعتدلت صوفي في فراشها قليلاً وغطت نفسها بالملاءة. وقالت وهي تبتسم:

- لا شكراً لك. ضعيها على الطاولة هناك.

فعلت الخادمة ما طلبت منها، وعندما جلست صوفي لاحظت انها الخادمة نفسها التي تحدثت معها في الصباح.

- قال السيد برانديت ان احبرك ان الغداء في الثانية يا آنسة ايف. وقد اعتقد انك سترغبين في تناول هذا حتى ذلك الحين.

- شكراً لك.

وحاولت ايف ان تجعل الخادمة ترد الابتسامة، لكنها ولت برأسها فقط وتركتها.

وبعد ان غادرت الخادمة، سكبت صوفي كوباً من السائل في الرائحة الذكية واحست مذاقه. اكلت قطعة من البسكويت ثم استراحت ثانية. كانت حالتها النفسية أحدة في التحسن، ووجدت نفسها تبتسم. فقد كان الصباح سهلاً جداً. وحقاً تصبح حقيقة هنا ببساطة الأمور من حسن الى احسن. ربما لم تكن ايف مصدر بديد كما فكرت في السابق...

تناولت طعام الغداء مع برانديت وروزا على الشرفة. ولما لم ترَ آدم او بيرز جهرت الأمر فأوضح لها برانديت.

- لدينك شركة تأجير صغيرة خارج بورت لوف سيابن. يقتني، ومركباً شراعياً ومراكب بمحركات وما شابه. يوم امس اراد زوجان اميركيان استئجار يخت وأسوء الحظ كان القبطان مريضاً، فحل مكانه بحار غير خبير. وارتطم اليخت بالصخور على مسافة من هنا قرب قم الذين دراغونز ماوث.

- قم أكنين؟

لم تفهم صوفي فأوضح لها:

- انه جزء من قناة المياه الضيقة التي تفصل تريبيداد عن الشاطىء

الفنزويلي.

- هل تأتي احد؟

- لا توجد اصابات خطيرة. بعض الخدوش والجروح. هذا كل ما في الأمر. انهم محظوظون لكن اليخت تلف ويجب سحبه الى بورت لوف سيأتي للاصلاح. وهذا ما يفعله آدج ويبرز.

- اوه.

علقت صوفي وانهمكت بتناول الطعام وعادت تسأل:

- هل . . . هل هذا جزء من عمل عالٍ؟

- آدج؟

هز براندت كتفيه ومد يده الى جبه وتناول سيكاراً.

- اعتقد انه يمكنك قول ذلك، مع ان الزراعة عمله الاساسي. في الحقيقة يمكنك تسميته مدير اعمال كل شركات سانت فينسنتي. اعتقد انه لا يقوم بأي عمل مباشر الآن، بل ربما يدقق في اعمال الآخرين لكن لا احد يستطيع اعفاء شيء عندما يكون موجوداً.

- استطيع ان اصدق ذلك.

ابتسم براندت وقال بنعومة.

- هاه، هل تسمع نبرة خاصة في صوتك يا ايف؟ يجب الا تسمحي له بازعاجك كما تعلمين.

مسحت روزا سانت فينسنتي فمها بنعومة.

- لا تتوقع ان تجلب ابنة جينيفر الى هنا من دون ان يظهر آدج رد فعل ما.

قالت بصوتها العالي النبرة.

- الا تستطيع؟ ولا لا؟ انت بالتأكيد لا تدعين بقولك هذا ان آدج غيور.

هزت روزا رأسها نفياً.

- لا ان طبيعة آدج الكريمة لا تسمح له ان يكون غيوراً.

- اذن ماذا تقصدين؟

شعرت صوفي بتنفاد صبر براندت بتزايد خلف فجته الهدئة.

- اعني هوارد بالطبع.

- اوه!

مضغ براندت سيكاره الذي لم يكن اشعله واطرق ثم قال:

- ولماذا يؤثر عجي، ايف ان هنا على هوارد؟ هذا تاريخ مضى يا روزا.

- انه لم يتزوج!

- هذا لا يعني شيئاً بالمرة.

زم براندت شفتيه وقال بانقضاب:

- انت تعيشين في الماضي يا روزا.

- هل تظن ذلك حقاً؟ ربما . . .

وهزت كتفيها النحيلتين ثم تابعت:

- لكن الجميع يعلم ان قلب هوارد انفطر عندما هربت جينيفر مع . . .

- هذا يكفي يا روزا.

اصبح براندت حاد النبرة الآن.

عندما انتهى الغداء استأذنت روزا في الذهاب. ومع ان براندت لم يبدِ فوراً عن كرسيه فقد كان في استطاعة صوفي ان ترى انه مشغول بأمور اخرى غير حفيدته الحديثة.

- هل تانع اذا ذهبت الى غرفتي؟

سألته بتردد وازعجت كرسيها الى الوراء ورأت وجهه بوضوح.

- لا. طبعاً لا يا عزيزتي. لدي بعض الأعمال انا ايضاً وحرارة الطقس شديدة لا تسمح في الهواء خارجاً. اقترح ان تلتقي على الشرفة لك الشاي بعد الظهر نحو الساعة الخامسة.

- حسناً.

ابتسمت صوفي وفركته وسارت نحو غرفتها وهناك شعرت بالقلق ومع انها كانت متعبة لم تستطع النوم. قرأت كلمات روزا عليها بقوة ورأت نفسها تفكر بهوارد المجهول. وايقنت انه لا بد ان يكون هوارد الضخم الذي تحدث آدج عنه وهما عائدان في السيارة من بورت لوف سيلين وتساءلت ما اذا ثار عليه هروب جينيفر بالشكل الذي ظنته روزا. لا بد ان يكون اكبر من آدج بعشر سنوات بالطبع. وهذا يعني انه في اوائل الأربعينات. في اوج شبابه كما يقول البعض. اذن لم يتزوج؟

بعد الظهر سمعت اصواتاً مرة اخرى تحت نافذتها وعلمت ان آدج وبيرز لا بد عادا. وجعلها الامر تتحمس اكثر من اللزوم وشعرت بنفاد صبر من رد فعلها هذا. الساعة الخامسة ارتدت فستاناً بريقياً ونزلت الى الشرفة لتناول الشاي. كانت الغرفة الصباحية خالية الا انها رأت بيرز جالساً هناك.

- مرحباً!

هتف وبيض بارتياح.

- لبثين جميلة وحدها. ماذا فعلت بنفسك طوال النهار؟

جلست صوفي على كرسي من الخيزران وهزت كتفيها.

- لا شيء. غير عادي. خرجت مع جدي هذا الصباح ثم ارتحت بعد الظهر.

- ارتحت؟

قال بيرز باندهاش:

- في مثل سنك؟ لم تذهبي الى البحر؟

- كلا. ربما سأذهب غداً.

- غداً لا شيء!

قاطعها بيرز.

- اذهبي ارتدي ملابس السباحة وسنذهب الآن.

- نذهب؟

ردت صوفي بصوت خافت.

- طبعاً! كي نسبح! تحبين ذلك اليس كذلك؟ والوقت مطير الآن فالياه دافئة جداً.

لم تعرف صوفي ماذا تجيب.

- لكن من المفروض ان اتناول الشاي مع برانديت.

- اوه. لن يتأثر. في كل حال ستعودين قبل ان يعرف اين انت.

وغلى اصابعه في زناره واخرج فلاساً.

- حسناً، هيا، حضري نفسك للذهاب.

- لا ادري اذا كان يجدر بي...

بدأت صوفي تقول بعدم ارتياح لكنه قاطعها:

- هراء! انت تعلمين تلك منشوة الى السباحة. لا يمكنك قضاء ليلة اخرى في تريبيداه من دون اختبار معنى السباحة هنا. صدقاً سوف تحبين الأمر.

- انا متأكدة من ذلك، ولكن...

رفع بيرز حاجبيه بتفاد صبر وقاطعها مرة اخرى:

- ياه انك تحتاجين الى الكثير من الاخلاح.

اخيراً اتخذت صوفي قراراً. وهبت واقفة بحصية:

- حسناً، اذا كنت متأكداً.

- طبعاً انا متأكد والا لما سألتك!

- حسناً، اعطني خمس دقائق.

ذهبت الى غرفتها وسحبت ملابس السباحة ونظرت اليها بتردد. ثم هزت كتفيها وبدأت تخلع ملابسها.

بذا اللباس صغير الحجم جداً، واحتارت انانا ابتاعته صغيراً الى هذا الحد. شعرت بالعري حيث انه لم يسبق ان ارتدت مايوه بيكيني وعرضت وسطها لاشعة الشمس.

الا ان وقت الندم مضى وشعرت بالرضى لأنها ابتاعت سترة حمراء وزرقاء لترتديها فوقه.

عادت ادراجها الى اسفل وهي تشعر ببعض القلق. كانت في منتصف طريقها على الدرج عندما دخل آدج وراءها.

«فوراً» شعرت الثير بجراحة ملابسها وتمنت لو انها تستطيع الدوران والعدو الى غرفتها. لكن بالطبع لم يكن في استطاعتها ان تفعل ذلك. فهذا الرجل يفترض به ان يكون خائفاً وأي اهتمام قد يبديه لا يتجاوز اهتمام الخال بابنة اخته.

وهكذا تابعت سيرها ووصلت الى القاعة ورأته يتمدد بكسل وقد بان جلده الأسمر الملون من خلال فتحة قميصه. ثم هوت ذراعاه الى جانبه. ونظر اليها بتمعن. وعندما لم يقل شيئاً، اضطرت صوفي الى المبادرة. وقالت له:

- انا ... سأخلق بيرز الى السباحة.
اومأ آدج برأسه دليل الموافقة.
- انا لم اسبح بعد.
- لم تفعل.
لم يكن مباشراً في حديثه. ووجوده حيث هو، سد طريقها وكان عليها الالتفاف حوله اذا ارادت ان تتابع سيرها.
- هل كان نهارك طيباً؟ هل استطعت استرداد قاربك؟
سألته وهي تأمل ان تبعد نظراته عنها.
هز آدج كتفيه وقال:
- لقد استرجعنا اليخت. نعم. لكن بالكاد ادعو النهار طيباً. لن تكون شركة التأمين سعيدة بدفع نفقات اصلاحه في هذا الوقت.
ابتسمت صوفي نصف ابتسامة لكنها لم تلق تشجيعاً قالت:
- اعتقد انك متعب.
- ليس بشكل خاص. لنا عمل المركب بعد الظهر.
واخيراً ابتعد عن طريقها.
- علمت ان والدي طاف بك في مزارعه هذا الصباح.
- نعم. هذا صحيح. كان الأمر ممتعاً.
وبلهجة متهكمة بعض الشيء قال:
- تمتعت انت!
- بالطبع تمتعت.
- اعتقد انه اخبرك انه عمل مربح.
كانت صوفي تمر امامه لكن كلماته اوقفتها. ونظرت اليه بعبوس قائلة:
- لست متأكدة. لكن اظن ان كلماتك وقحة نوعاً ما.
قالتها وهي ترتجف.
- هل هي كذلك؟ ربما كان علي ان اتكلم بصورة اكثر وضوحاً.
حدقت فيه صوفي مستفسرة لكنها لم تستطع الاستمرار في التحديق فهمست:
- لا بد ان بيرز ينتظرني.

واومأ لها علامة موافقة على انصرافها. لكن ما ان خطت اول خطوة حتى اطل بيرز من الغرفة، وكانت منشفة حمراء وبيضاء تتدلى على كتفيه.
افرجت اساريره عندما رأى صوفي وابتسم:
- لقد عدت! بدأت افكر انك غيرت رأيك.
- اخشى ان اكون سبب تأخرها يا بيرز.
قال آدج ذلك وعاد الى الاسترخاء.
- لكن لا تدعني اؤخركما اكثر يا اولاد.
رفضت صوفي النظر اليه. بل استدارت ناحية بيرز وقالت:
- نعم، دعنا نذهب.
كانت حرارة الشمس قد خفت الى درجة كبيرة وشعرا بنسمات هواء منعشة على وجهيهما وهما يبطآن الخروج وفكرت صوفي وهي تحاول طرد آدج من تفكيرها. امت الدرجات الى رصيف رسى عنده قارب شراعي وقاربه يتحركان. لا شك انه اليخت نفسه الذي استعملاه قبلاً. صرصرت الحبال قليلاً عندما تحركت القوارب مع الماء وملأت الجو رائحة مالحة لذيذة. لم يتغير لون البحر. من هنا اصبح في الامكان رؤية عمقه والاسماك الصغيرة تسبح فيه ونباتات المنقات برقة في قاعه. خلع بيرز سرواله وسترته وظهر تحتهما ازرق ثم قفز بخفة فوق الصخور ونظر وراءه ليرى صوفي لا تزال في مكانها مترددة.
- تعالي ان المكان آمن. تستطيعين ان تسبحي اليس كذلك؟
- نعم.
قالت صوفي والشك يجتاحها وهي ترخي زنار سترتها:
- هل الماء عميقة؟
- هذا؟ ليست عميقة جداً. عشرةاقدام كحد اقصى.
تنهدت صوفي استغراباً:
- عشرةاقدام!
وضع بيرز يديه على خصره.
- هل ستأتين ام لا؟ بعض الماء اخلعي سترتك وتعالي.
تنهدت صوفي وتركت السترة تهوي وهز بيرز رأسه راضياً.

- جميل جداً.

قال هذا وهي تسير على الصخور بارتياك نحوه:

- ولكن لونك شاحب. لا بأس. فسرعان ما ستصبحين سمراء مثلي.

شكت صوفي في الأمر، فبيرز كان اسمر اللون مثل والده. ومثل هذا اللون الداكن يحتاج الى سنوات عدة لاكتسابه.

سار بيرز نحو حافة الصخور ونظر الى اسفل بانتباه. ثم ناجى صوفي:

- هل تغطسين؟

- استطيع. ولكن افضل الا افعل.

واعترفت صوفي بمخاوفها:

- الا استطيع ان ارتاح في المرة الأولى؟

اشار بيرز الى الخليج حيث برز رأس صخري من الماء.

- هذا تلك الصخرة التي تعطي بوانت سانت. فلسوف اسبح هناك ما يخيف. - فلا مد قوي او تيارات مائية. سأغطس انا اولاً ثم تتبعيني.

غطس ثم عام. وازاح شعره عن عينيه ثم سبح عائداً الى حيث كانت صوفي ما زالت تقف.

- هيا! انه امر سهل. اقفزي!

ترددت صوفي لحظة اخرى ثم ضغطت على طرف انفها بسدة وقفزت من الصخور الى الماء. ضاق تنفسها عندما شعرت بالبرودة في البدء لكن ما ان طفت على صفحة الماء حتى شعرت بأن الماء كانت دافئة بالفعل. ونظرت خوفاً لتجد بيرز على مسافة منها وسبحت في الخاضة بتمهل وهي مسرورة باحساس الماء على جلدها الدافىء. قال بيرز:

- حسناً! ليس الأمر سيئاً، أليس كذلك؟

- لا انه رائع!

دفعت صوفي الماء براحة كفها ونظرت خوفاً بتشوق.

- لم اسبح كثيراً في البحر سابقاً. ان الطقس بارد جداً في بلادي.

- هذا لا يناسبني.

ثم قال بيرز:

- كان الطقس بارداً جداً عندما كنت في التكساس. عليك تعويض ذلك وانت هنا.

سبحا ولعبا لبرهة ثم قال بيرز، ان عليهما العودة فقد جاوزت الساعة السادسة وقد يكون براندت قلقاً.

- الساعة تجاوزت السادسة! يا له ظننت انها الخامسة والنصف تقريباً.

ضحك بيرز وقال:

- انها صحبتي المسلية يا صوفي. سأحد كلامك كمديح.

ضحكت صوفي ايضاً ثم سبحا وخرجا من الماء. شعرت صوفي بضعف غريب في قدميها وادركت ان التمرين غير الاعتيادي قد انهكها. وقال بيرز الذي لاحظ تعبها:

- سنرتاح هنا قليلاً قبل ان نصعد الى المنزل، اتوافقين؟

- آه، ولكن ماذا بخصوص جدك؟

قالت صوفي قبل ان تفكر بكلامها.

- جدي! انه جدك ايضاً.

تخضبت صوفي:

- نعم. ادرك ذلك. لكن اعتقد ان المرء في حاجة الى بعض الوقت كي يعتاد الأمر.

قبل بيرز تفسيرها وبعد ان جفف جسمه ليس ثيابه وجلس قربها على الرصيف الدافىء وسألها بلطف:

- تظنين انك ستستمتعين بالقائك هنا؟

هزت صوفي كتفيها:

- انا متأكدة.

- اذن سوف تبقين؟

- ابقى؟

- طبعاً. والذي قال ذلك لا توبهن ذلك لكن براندت يأمل العكس.

فكرت صوفي بغضب. اذن هذا ما في الأمر! كان عليها ان تعلم بان براندت سانت فينسنتي ليس من النوع الذي يدع فرصة مثل هذه تفلت من يديه. استطاعت جينيفر ان تتحرر من قبضته، لكن ابنتها قد لا تستطيع

ذلك...

فجأة نودي عليها من فوق واستدارت لتجد براندت على رأس الدرج يطلب منها النجيء.

- تعالي، اريد ان اعلمك الذهاب.

كان على صوفي ان تبتسم وهي تبقي وصعدت الدرجات درجا صعوبة بعد الحقها بيرز. بقي حذيتها عالقاً في ناعمها. وصلا رأس الدرج وسارا عبر الحديقة الى حيث ينتظرهما براندت وهنالك، رأيا انه لم يكن وحده. كان في رفقته رجل آخر معتدل القامة ذو شعر بني داكن يغطه بعض الشيب وملامحه جذابة، كان يرقب صوفي وهي تسير نحوهما وتساءلت من عساه يكون. ماذا لو كان شخصاً يعرف ايف، وادرك للحال انها ليست حقيقة براندت سانت فينسنتي؟

لكن لم يكن هناك ثمة ما يبرر تخاوفها. وسرعان ما انكشفت هوية الغريب. اخذ براندت ذراعها بصورة تملكية عندما اقتربت ونال.

- كنا في انتظارك يا عزيزتي ايف. دعوت هوارد لتناول الشاي كي يتعرف اليك ولكن لا بأس. انت هنا الآن. اريد ان اقدمك الى عمك الغريب... هوارد، فليمنغ. حسناً يا هوارد. ما رأيك بالفتاة؟

٤ - لماذا لا تبقى هنا؟

ارتدت صوفي ثياب العشاء في تلك الليلة الثانية بارتياح. فقد كان مقرراً ان يتناولوا العشاء خارج المنزل هي وبراندت وروزا وادج وشعرت انها عصبية قليلاً. سيذهبون الى كومانو الى منزل عائلة فليمنغ، وشعرت بثقل الزيارة، بالقدر نفسه الذي شعرت به عندما تمت الى بيت سانت فينسنتي.

كان هوارد فليمنغ ليساً جداً بعد ظهر اليوم السابق. فعوضاً من محادثتها بالمزارة التي احبتها ولا تُشك اتجاه جيمس. تصرف بود زائد، متحمساً للوقوع في اي ضيق معها. وهو على عكس ذلك، ذهب الى حد نسي فيه اسمه لولة والدها وهو شيء لم يفعله حتى براندت.

في اي حال، كانت صوفي مدركة وضعها اكثر من اي امر آخر. وبينما رحبت هوارد رحلاً وبروداً وجفاءً. الا انه يبقى الرجل الذي اخذت منه

www.liilas.com

جيلبر مفضلة جيمس هوليستر. عبرت الغرفة نحو السرير حيث كان فستانها الذي سترتديه في تلك الأمسية القاس للسالي الرسمي الوحيد الذي احضرته معها وتأملت ان يكون مناسباً. كان الفستان طويلاً ابيض بدا قماشه كأنه حريري. وكانت ايف قد اعدته اياه قبل مجيئها الى تريبلداد بعد ان ابتاعته لمناسبة خاصة لكنها لم ترتده في ارتداته مرة اخرى، لذا اصرت على صوفي ان تأخذه، واحست صوفي بالخيبة لانها قبلته. خطت الاكمام الطويلة المزمومة تراعيها للتلهوين قليلاً، بينما اضفى العقد مظهراً هادئاً مصقولاً عليها.

لم يكن مقرراً ان يراقبهم بيرز. لكنه اعفى معظم النهار مع صوفي التي كانت لو يكون في الأمسية معهم بضعي جواً من البساطة. غير انه لم يكن يحب مناسبات العشاء الرسمية فقرر الذهاب الى نادٍ ليلي في بورت اوف سبين مع بعض الأصدقاء.

نزلت صوفي الى القاعة حيث تجتمع العائلة عادة قبل العشاء الساعة السابعة. لكن الغرفة كانت خالية وسارت نحو النافذة وهي تفكر وتنظر الى الظلال في الحديقة. ثم اتجهت الى المكتبة وبدأت تطالع عناوين الكتب، وكبقية المنزل كانت هذه الغرفة جميلة جداً فما ان تناولت كتاباً عن الرف حتى سمعت خطوات خلفها، واستدارت لتجد آدج يدخل الغرفة. وبدا رائعاً في سترة سهرة بيضاء. فشعرت صوفي برعشة لا ارادية تسري في جسمها. اعادت الكتاب الى مكانه واستدارت نحوه بترقب. اختال النظر فيها وارتجفت وعاطفته بعصبية:

- هل... هل منزل عائلة فليمنغ بعيد من هنا؟

تجول آدج في الغرفة ونظر حوله وقال:

- ليس بعيداً جداً.

ثم سألها:

- هل تريدين شراباً؟

- لا شكراً.

واعطاها الكأس وقبل هما بتحدث سمعا اصواتاً في القاعة وبعد لحظة دخل براندت وروزا الزوجة. كانت المرأة ترتدي معطفاً اسود طويلاً ناسبها

جداً وسرت صوفي لأنها اختارت بمظهرها الى هذا الحد. وبدا واضحاً لها ان المناسبة ستكون رسمية الى حد بعيد.

- آه، انت مستعدة.

خاطبها براندت وهو ينظر اليها باعجاب.

- ليدين رائعة يا عزيزي. سأكون موضع حسد الجميع هنالك.

قبلت صوفي المذيع بخجل ونظرت بارتياك الى الكأس التي في يدها وتابع براندت نظراتها.

لم تستطع صوفي قول شيء. فقد شعرت بنظرات آدج تتمعن فيها لكنها رفضت ان تمنحه مشاهدة ارتباكها، وهكذا احتست قليلاً من شرابها وحاولت ان تبدو عادية في ذلك. وعندما شعرت بمحض الأرتياح وتصورت انها مستعدة اكثر لمواجهة الأمسية المقبلة.

ذهبوا الى كومالي في سيارة فخمة رمادية احضرها السائق الزنجي جوزف وقرر آدج ان يقود السيارة، فجلس براندت الى جانبه، بينما جلست صوفي وروزا في المقعد الخلفي. سمعت صوفي غير نواقد السيارة المفتوحة اصوات محلوقات الليل غير المألوفة، وكانت رائحة الأزهار التي نمت بكثرة في الجزيرة تعبق فتملأ الأمسية غير المقمرة بالشذى. وشعرت صوفي بالراحة.

استغرقت الرحلة عشرين دقيقة الى منزل عائلة فليمنغ واستطاعوا ان يروا اضواء المنزل عامرة وهم يقتربون ويسمعون اصوات الموسيقى الخافتة.

كانت سيارة اخرى تقف عند منعطف في الممر، فأوقف آدج السيارة ورائها. ثم خرج ليساعد حماته في النزول بينما ساعد براندت صوفي وسارا معاً الى الباب الخلفي.

صعدوا مصبح درجات ووصلوا باحة البيت الخارجية حيث رأوا الأبواب مفتوحة وان فليمنغ يرحبون بضيوفهم. وما ان رأهم هوارد فليمنغ حتى اتجه نحوهم مرحباً بحرارة، وعيناه تحدقان بمظهر صوفي الخلاب.

- تعالي لأتمسك الى والدتي يا ايف.

قال ذلك واشار على الآخرين ان يرافقوها.

- ان والدتي مشوقة للتعرف اليك.

كانت ماريون فليمنغ نارعة القامة مثل ابنها كما شابهته في المظهر. شعرها بني وقدرت صوتي ابنا لمجاوزات الستين عاماً لكنها بدت اصغر من ذلك بعشر سنين. ما هو السر في الجواد الذي جعله شباب الدائم وحيويته هذا؟

وهتفت والدته:

- اذن انت ابنة جينيفر.

وافحصت صوتي بعينين لم تعكسا حرارة كلماتها.

- لم أكن لاعرفك تلقائياً فانت لا تشبهينها ابداً.

- حراء!

اجاب برانندت وارتاح صوتي من ضرورة الاجابة عن ذلك الكلام الغريب، ثم تابع:

- طبعاً انها تشبه جينيفر. ربما نسيت كم كانت جينيفر جذابة.

- لو نسي جينيفر يا برانندت.

اجابت ماريون بعض الحدة، وساد صمت مريك لوهلة. وفي تلك اللحظة اقترب ادوارد فليمنغ والد هوارد وفاتت سمة الحديث الذي سبق اقترابه. ووجدت صوتي نفسها تقف وهوارد الى جانبها. فهمس باعتذار:

- يجب ان تسامحي والدتي يا ايف.

- لم تسامح جينيفر بسبب هروبها.

ونظرت صوتي اليه:

- وهل سامحتها انت يا سيد فليمنغ؟

- هوارد ارجوك! سيد فليمنغ كلمة فيها تكلف ولا حاجة بنا الى الرسميات بحق السماء، ربما كنت...

ثم قطع كلامه فجأة وسألها:

- اخبريني. ماذا تفعلين في الكلتر؟

تنهدت صوتي بعمق، وبدأت تخبره قليلاً عما عرفته عن عمل ايف ولكن حسن الحظ لم يلح عليها، وسرعان ما انتقل بها الحديث الى مواضيع اقل حساسية. خادمها هوارد الى الضيوف الآخرين، زوجان في منتصف العمر

لورنس وجين كيلبدي والى الخلف، جالون التي كانت تتحدث مع آدم.

كان شعر جالين فليمنغ كشعر اخيها، كثيفاً وأجعد، لكن الشبه بينهما انتهى عند هذا الحد. كانت اصغر قامة منه بحيلة وفات عينين لاحجرين وفم صغير. وبدت في فستانها الأحمر اللامع كالسان قلب مع سترة آدم البيضاء. وهي تضع ذراعها على كتفه وكأنها تملكه. وعندما اقترب هوارد منها ليقدم صوتي، نظرت اليها بعدم الثقة واضح وقالت كلمة ترحيب عابرة قبل ان تتابع حديثها مع رفيقها. كان آدم يميل برأسه نحوها وهو يستمع لما تقوله، وشعرت صوتي بلسعة قلق تنتابها عندما رأت مدى حميمية علاقتهما. ولم تتوقع رد فعلها هذا وتمنت على يدها باصطناع فارتاحي لشعر موجة من الاستنكار تعتريها. لم تعرف السبب. لكن فكرة وجود علاقة ما، بين هذين الشخصين لم ترق لها البتة. ووجدت نفسها فجأة تتساءل عن شكل زوجة آدم وعما حل بها.

بدأت بالابتعاد ورأت عيني آدم تراقبانها. كان لا يزال يستمع الى ما تقوله جالين لكن صوتي لاحظت ضرورة للحقة. وادارت ظهرها فيما وحاولت ان تنبه الى ما كان يقوله هوارد ها لكن الأمر لم يكن سهلاً. كانت يداها ترتعشان وراحتاها متعرقتين، وكرهت الاعتراف بأن آدم سانت فيستي كان سبب هذا القلق الماضي، من العاطفة. بحق السماء بماذا كانت تفكر؟ هل ارادت ان تعطيه الانطباع الخاطئ؟ ماذا يفكر لو بدأ يشك في ان الفتاة التي يفترض ان تكون ابنة اخته قد بدأت تشعر بنحوه بطريقة لا تمت الى علاقة ابنة الاخت بخالها بشيء؟

ضحكت بهدوء وابتسمت هوارد ابتسامة شكر متكلفة. ولكنها اعترفت انها لا تعدان تكون مجبوبة لتدع مثل هذه الافكار تخترها. وبالفعل لم تتذكر انها شعرت بشكل مماثل سابقاً. لم ترتبط بعلاقات عابرة في السابق وتحولت نفسها، ربما عن جدارة انها منحررة. لكن كان عليها الآن ان تحترف بقظة حرتها. حركت كتفيها بعناد صبر. عبثاً، اذركت هذا الضعف فيها وكان عليها ان تتغلب عليه. لكن هل ستتمكن؟ سيمت صوتاً في داخلها يهمس: كلا! لم تشعر بمثل هذا تجاه اي رجل قابلت في عملها، اولاً في استوديوهات التلفزيون، ثم في المسرح؟

كان منزل عائلة فليمنغ القريب من منزل بوانتي صاحب فيلستي. واخيرها هوارد انه من الممكن رؤية البحر من نوافذ الطبقة العلوية في النهار لكن موقع البيت كان بعيداً قليلاً عن البحر ولذا بنوا حوض سباحة في الحديقة. في هذه الامسية كان الحوض مضاء حيث تناولوا طعام العشاء خارجاً الى طاولة طويلة يدت جذابة بما عليها من اطباق هيبسكوس صفر وقرمزية وبدا الحوض كأنه يدعو الزوار الى السباحة. واقترح هوارد على ايف ان تأتي لقضاء نهار معهم خلال اجازتها. علقت صوفي على ما قاله بتلطف لكنها لم تستجد الفكرة كلياً. لم تكن تعرف تماماً ما قد تكون ردود فعل ماريون فليمنغ على مثل تلك الدعوة، ومع انها تصرفت برد مع جميع الضيوف، الا انها شعرت بانها لم تحبهم. كانت وجبة العشاء شهية ولم يسبق لصوفي ان تذوقت حساء سمك قبلاً، كما احبت اللحوم المشوية. انهوا العشاء بتناول بعض الفاكهة والقهوة التي اصبحت صوفي تحبها. كانت مسرورة لأن تجلس باسترخاء في مقعدها بين برانت وهوارد وتستمع الى حديثهما بينما الرجال يدخنون السيكار الذي وزعه ادريان فليمنغ كان ادوج يجلس قبالتها بين جين كينيدي وجانين فليمنغ. ومنعت صوفي عينيها من التجوال في تلك الاتجاه واحست بأن جانين يدأ في ترتيب كيفية جلوس الضيوف الى الطاولة. عندما انتهى الجميع من تناول العشاء، ازال الخدم الطعام عن الطاولة. ثم سمع الجميع مزيداً من موسيقى الكاليبسو. سحبت جانين ادوج ليراقصها وبعد ان رافق لورنس كينيدي ماريون فليمنغ الى حلقة الرقص، استدار هوارد نحو صوفي:

- لا اعرف كيف ارقص هذه الرقصات الحديثة لكني سأفعل ما استطيع.

نظرت صوفي بشك ناحية برانت، منتظرة موافقته فأومأ برأسه مشجعاً:

- هيا، يا عزيزي شجعها وسأتمتع بمراقبتك.

مع كل ما قاله هوارد عن عدم حبه في الرقص، فقد بدا راقصاً ممتازاً وتمتعت صوفي بمراقصته. كانت الموسيقى جذابة ذات ايقاع ولم يضعها اليه كثيراً. ووجدت نفسها تفكر بغرابة الموقف وكأنها كانت فعلاً ابنة جيفري

في اي حال، كان من الممكن ان يكون هذا الرجل ابلعها لو سارت الأمور كما تتوقع وشعرت الكبدة انه كان يزمع على قول ذلك قبلاً عندما سكت عن الكلام فجأة. وعندما انهت الاسطوانة شعرت بشيء من الخسرة. تحدثت معه بمرح وهما يسيران نحو الآخرين.

كان ادوج يقف الى جانب كرسي والده ويتحدث معه ومع ادريان فليمنغ. ووقفت جانين الى جانبه، ولاحظت صوفي انها لم تكن معتادة على الا تشارك في اي حديث. لكن الرجال كانوا يتحدثون عن الحادث الذي تعب البحث ولم تكن جانين ملمة بالموضوع كثيراً. بدا هوارد كأنه ربط نفسه بذلك المساء وظهر قريباً منها ايضاً وهبت ومع انها استطاعت ووجدت في رفقته متعة لكنها تمنت لو يهتم بضيوف والدته الآخرين اهتماماً اكثر. لاحظت ان ادوج اتى الى ملازمة هوارد لها ولم تكترث عندما رأت شقيقه ترمقان كلتيهما بنظرة تجاهها. وضعت اضواء اخرى على التوتوغراف ودعا لورنس كينيدي صوفي الى مرافقته. قبلت بعد تردد ورأت ان ادوج كان يراقص مضيفته. بقيت جانين قرب اخيها وبرانت لكن صوفي استطاعت ان تدرك من تعابيرها انها لم تكن مرتاحة الى الوضع القائم.

قرأت الخادمة عاشرة والنصف بعد ان رقصت صوفي مرات عدة اخرى احداها مع برانت واخرى مع ادريان فليمنغ سيد جوبس، بداية الحفلة. فغادرت عائلة كينيدي واصرت على انها ستتصل بالآخرين لتنظم حفلة عائلية في دارها، ثم رافق برانت واخته عائلة فليمنغ الى المنزل الريفي كي تحضر روزا لهما. وتمنى هوارد وصوفي وسارا لهم ادوج وجانين بخطوات واستطاعت صوفي ان تسمع همسات الفتاة. الا انها لم تستطع ان تفهم ما كانت تقوله واضطرت الى اجبار نفسها على عدم الانصات. بعد الغناء لهجة المساء ذهبت صوفي وروزا وبرانت الى السيارة للعودة الى المنزل. وبأمر ادوج قبلاً وبعد لحظة جاء وجلس خلف المقود ولم تستطع صوفي الا ان تتساءل اذا كانت جانين هي السبب في التغيير المفاجئ الذي ارتسم على محياه!

لم تر صوفي ادوج ثانية خلال يومين. علمت انه غادر في الصباح التالي للحفلة الى بيارتيز وهو المطار الدولي في بيرت اوف سبانين لراهب بالطائرة

الى توباغو. واخبرها بيرز ان لديهم مصالح في سكاربورو، عاصمة الجزيرة الصغيرة، وبذا ان هو تفاعد تقريباً عن العمل، فقد قام لاوج بذلك المهام بنفسه.

همست صوفي بدلال، بالكاد مدركة انها تحدثت بصوت مسموع:

- يبدو انها رحلة ممتعة.

نظر اليها بيرز مندهشاً وسألها:

- هل كنت ترغبين الذهاب انت ايضاً؟ كان في امكاننا ذلك على ما اظن، لكني افترض ان والدي لم يعطك انت توكيل الأمر هذه.

وهزت صوفي رأسها بسرعة وهتفت:

- اوه... كانت فقط الثلم الماضي، علماً بأني سعيدة جداً هنا. شكراً لك.

ابتسم بيرز وقد قال:

- احل، ان الحياة هنا لذيذة، اليس كذلك؟ لا احب العمل ذلك. وافضل البقاء والعمل في القوارب. اخبريني! هل تودين الابحار على قاربي شراعي؟

- لا اعلم... اعني لا اعرف ما هل هذا.

- يمكنني ان اعلمك. ان الامر سهل فعلاً ما دام في امكانك ان تسبحي...

- تقصد في حال انقلب القارب بنا؟

ابتسم بيرز بحذق وقال:

- في الواقع على المرء ان يكون حاضراً لكل احتمال.

نظرت صوفي الى بشرتها ولاحظت كم تبدو جذابة بلونها الذي يتحول تدريجياً الى البني، وهمست:

- اوه... لا اعرف...

- لماذا؟ الا تثقين بي؟

رفع بيرز حاجبيه وبدا للحظة شديد الشبه بوالده.

نظرت صوفي بعيداً وقالت:

- طبعاً اثق بك. الامر هو... حسناً، ما سيقول براندت؟

- اسأليه.

اجابت صوفي بتردد:

- هل افعل؟

- انا اسأله اذا كنت ترغبين.

- لا. لا. انا سأفعل.

ونهضت صوفي ونظرت نحوه من دون ان تعير صخر الماء الذي ارتداه اي اهتمام.

- هل احتاج الى شيء؟

- حذاء من القماط. اذا كان لديك. اسرعي. سوف يطيب لك الأمر.

لم يبد براندت اي اعتراضات على سطوها عندما تنبه صوفي أن تكون حريصة.

- لا اريد ان يصيبك مكروه وانا بالكاد عثرت عليك.

قال لها بحرارة وشعرت صوفي بالذنب. كان عليها ان تفتح نفسها له لولا عجلتها لا وجد احداً يعدق عليه حنانه وانها بالتالي لا تؤدب، لكنها كرهت ان تخدعه هكذا. وأدت الأمر يزداد سوءاً.

اخذها بيرز في القارب. ومع انه كان صغير الحجم نسبياً فقد كان يتحرك بسرعة خفيفة وهو يمخر الماء. تضايقت صوفي في البداية. لكن ما ان استقرت في المركب حتى بدأت تستمتع بالنزهة. فالقارب الشراعي كان مثيراً اكثر من القوارب ذوات المحرك، كما كان تعبير بيرز له يجعله مثيراً ايضاً.

- اذا ابقيت المركب في وضع مستقيم يسير بالقصى سرعته والريح هي التي تقوم بالعمل طبعاً. هذا الحبل الرئيسي في يدي كي اعير من وضع الشراع في مواجهته للريح. فاذا ما واجهتنا ريح قوية مفاجأة وكان الشراع معرضاً قما الى درجة كبيرة يمكن عندها ان تنقلب، وكذا على البحار توجيه المركب وادارة الشراع.

- هذا رائع.

ونظرت صوفي الى الشراع العالي فوقها والى زرقة السماء الصافية.

- هل سأستطيع تسيير القارب لاحقاً؟

ابتسم بيرز بزهو:

- ليس اذا استمريت في الانحناء نحو الخلف كما تفعلين الآن. عليك ان تشدي بعكس ضغط الريح، لا ان تضيفي وزنك في اتجاه ضغطها.

ضحكت صوفي وغيرت موضعها.

- اي مسرورة لانك دعوتني الى المجيء.

- وانا ايضاً.

نظر بيرز اليها وبدا مسروراً.

- يبدو اننا نتسجم معاً، أليس كذلك؟

اومأت صوفي برأسها موافقة. كان ذلك صحيحاً. فعندما تكون مع بيرز تنسى فداحة موقفها وتتصرف بصورة طبيعية. ربما كانت مبالغة لكنها شعرت بأنها كانت تنسجم مع بيرز في اي حال ومن دون صلة القرابة المفترضة بينهما.

في صباح اليوم التالي وعلى براندت الى غرفة الصباح بينما كانت صوفي تنتهي من تناول الافطار ليبلغها ان هوارد يريد التحدث اليها بالهاتف.

نظرت صوفي نحوه وفاجأته وهو متجهم الوجه.

- بابا؟

سألته دونما تفكير فهي لم تجد سبباً يدعو هوارد فليمنغ الى التحدث اليها.

هز براندت كتفيه واجاب بقلق.

- اعتقد انه سيدعوك الى قضاء نهار في كوخاتي.

قالت صوفي ومسحت فمها بالمنديل.

- اوه.

سألها براندت باشراق:

- الا تريدين الذهاب؟

- ليس بشكل خاص... انا بالكاد اعرفهم.

- اذن لا تذهبي.

ثم اضاف:

- اعلم ان هوارد يشعر بالحماس نحوك، حسناً... لانك ابنة جيتفر، لكن لا يفعل ان يتوقعك ان تتجزي ما تركته امك!

اتسعت عينا صوفي:

- اتعتقد انه يشعر هكذا؟

- اللعنة، انا اعلم انه كذلك!

وتحرك براندت بانفعال صبر:

- بالتأكيد حتى انت لاحظت كيف حام حولك طوال تلك الامسية!

انهدت صوفي:

- من الافضل ان اقول له انني لست داعية اليهم.

- نعم، اعتقد من الافضل ان تفعلي ذلك.

اومأت صوفي برأسها وبهضت واقفة. آخر ما قالته الآن هو ان يخلق هوارد فليمنغ تخيلات عاشقية لها. خاب امل هوارد عندما رفضت دعوته. فقال مقترحاً:

- اذا لم ترغبي قضاء نهار هنا فما رأيك بدعوة الى العشاء هذه الليلة؟

ترددت صوفي واخيراً قالت:

- آخ ليس هنا، كما تعلم واعتقد ان جدي يفضل تو بقيت هنا الليلة.

سمعت هوارد يتنهد بعمق ويقول باصرار:

- غداً، اذن؟

صمتت لفترة فقال لها هوارد:

- بعود توج غداً، أليس كذلك؟ وسوف يحتاج مع براندت في شؤون العمل، في هذا الوقت تتناولين العشاء معي.

فكرت صوفي في الامر. كان هناك بعض الحقيقة في قوله في اي حال، ابلغها بيرز انها كانت رحلة عمل.

- حسناً غداً مساء، اي ساعة؟

- سأمر لآخذك قرابة الساعة السابعة. ايناسبك ذلك؟

- حسناً.

قالت صوفي وبدأت تندم على موافقتها للخروج معه.

- الى اللقاء اذن.

- الى الغد يا ايف.

ما ان وضعت سماعة الهاتف مكانها حتى شعرت بانها لم تعد وحيدة في الغرفة. كان برانديت قد خرج من غرفته ووقف يراقبها.

- اذن، سوف تخرجين معه غداً مساء.

علق بتجهم مبيناً لها انه سمع نهاية حديثها مع هوارد. وتنهدت قائلة:

- لم يكن في وسعي ان افعل شيئاً سوى ان اطلب اليه ان يدعني وشأني؟

هز برانديت رأسه.

- الى اين سيأخذك؟

- لست ادري. لم افكر بسؤاله. فقط الى العشاء على ما اعتقد.

ووضع برانديت يديه في جيبي سرواله وتقرب منها:

- حسناً، هل تعلمين يا ايف. لقد مضى على وجودك هنا قرابة اسبوع وحتى الآن لم تتحدث فعلاً.

- اوه، بل فعلنا! واقول بانني احب اقامتي هنا، والجميع لطفاء معي.

- من السهل على المرء ان يكون لطيفاً مع شخص مثلك يا ايف. ويجب ان تعلمي... حسناً... قال برانديت بصوت اخشن واصلب:

- لا اريدك ان تفكري في العودة الى انكلترا.

فغرت صوفي فاها وهمست بعدم ارتياح:

- ولكن... ولكنك تعلم انه يجب علي ان اعود.

- لماذا؟ لماذا يجب عليك؟

- لدي... عمل...

- اعلم ذلك. انا مستعد لأن اقبل ما يعنيه عملك لك. لكن اذا اردت مني ان اساعدك فليس كثيراً علي ان اتوقع منك البقاء بعض الوقت هنا.

حدقت صوفي فيه من دون ان تفهم قصده وقالت بصوت شبه هامس:

- لا افهم.

وفكرت بشكل حدسي مفاجيء اذا كان ثمة امر احمله عنها ايف قصداً.

- علماً تفهمين.

بخس الخط كان برانديت مستغرقاً بشرح وجهة نظره الى درجة لم ينتبه معها كفاية الى صدمتها.

- لا انوي الخوض في حسنات الوضع ومضاره الآن. هناك متسع من الوقت لذلك، لكن... انني ان تذكري جيداً في البقاء هنا. على فترة ستة عدة طويلة؟

- ستة؟

كان ارتياك صوفي واضحاً هذه المرة. واحنى برانديت كتفيه من خيبة امله. وقال بصوت مثقل:

- لا تريدين ذلك. ولا استطيع ان اجبرك. لكنني انبي ان تحاولي رؤية الامر من وجهة نظري.

- ولكني افعل.

وضغطت كفا على كف وتابعت:

- انا... انا افهم تماماً، لكن لدي ارتباطات. ولا استطيع ان اخل عن كل شيء لفترة ستة!

زفر برانديت بصوت مسموع:

- لا. لا. كان علي الا اعذب ملك.

واقتبه صوفي بضعف. لكن ماذا تستطيع ان تفعل. كانت غير قادرة على تلبية رغبته حتى ولو ارادت. اقترحت ايف عليها البقاء اسبوعين او ثلاثة اسابيع. لكن ليس ستة! اضافة الى انه كان عليها التفكير في عملها. فالشركة لن تبقيها في عملها بعد غياب ستة.

في اي حال. لو انها كانت فعلاً ايف هوليستر، وبرانديت كان حقاً جدها، لكانت على يقين ان لا شيء يمنعها من البقاء وتحليل رغبته. فحياتها في انكلترا اصبحت الآن غامضة والحياة الحقيقية هي في تريندادا وخاصة، في ذراعي سانت فينسنتي...

٥ ـ الماضي يؤذي الجميع!

عاد آدج متأخراً بعد ظهر اليوم التالي، ودخل غرفة براندت وأغلق الباب خلفه. لم تتوقع صوفي أن تراه قبل تناولهما العشاء مع هوارد. لكن عندما مرّت الساعة السابعة إلاّ ربعاً وحدته في الردهة مسترخياً. كان لا يزال يرتدي ثياب السفر وبدا تعبيره مكفهراً عندما استدار ووجدها تترقد عند المدخل.

تنشّقت صوفي بحذر في الغرفة، وشعرت بالراحة وهي تحاول أن تبدو عادية في حديثها:

ـ هل كانت رحلتك جيدة؟

تمهّل آدج قبل أن يجيبها بإقتضاب:

ـ ناجحة.

ـ آوه... حسناً، أعتقد أنك متعب.

ـ لا. هل يجب أن أكون؟

تعمّدت أن يكون معتقداً. استدارت صوفي بعيداً. لم يكن في وسعها الدفاع عن نفسها عندما يعاملها بهذا الشكل.

ـ فهمت أنك ستتناولين العشاء مع هوارد.

جعلتها كلماته تستدير نحوه ثانية.

ـ نعم. لا بد أنه سيصل في أية لحظة.

ـ إذا أردت نصيحتي، لا تخرجي من هوارد.

خلّى آدج بوضوح. وشعرت صوفي بموجة من العصبية تذوب أمام فورة من الغضب التام:

ـ لا أذكر أني طلبت نصيحتك.

ـ لا، ولكنني أقدّمه في أي حال.

ـ لماذا؟ لماذا لا أخرج معه؟

ـ أول شيء، عمره أكبر من أن يلائم عمرك. ثم انه يعاني من وهم أنك جيهفر بعثت حيّة.

تمتمت صوفي نفساً مرتجفاً:

ـ نحن مجرد أصدقاء.

ـ حقاً!

تناول آدج سيكارة من علبة على الطاولة ووضعه بين أسنانه.

ـ حسناً، لا تقولي إني لم أحذرك!

تنهدت صوفي وراقبته وهو يشعل السيكار ويهمهم بعمق ثم هتفت:

ـ تبدو لو أنك تتوقف عن التحدث بهذه الطريقة قالت... أنت خالي في النهاية.

ـ إذن كيف تودّين أن أكون؟

احمرت صوفي رأسها:

ـ فقط لا... لا تستخرجني هكذا.

ـ آوه فهمت. لا تستطيعين تحمّلني، هذا ما في الأمر؟

طرت اليه. كانت عيناه الداكنتان وفمه يتلمّ عن تهكم وقالت بالدفاع:

- الحمد لله ان بيرز لا يشبهك.
- ألا يشبهني؟ أليس مثلي؟ هل أنت متأكدة من ذلك؟
- طبعاً أنا متأكدة. انني استمتع برفقته.
- ولا تستمتعين برفقتي؟
- لا تنهمني بشيء لم أقله.
- اعتقدت أن الاستنتاج هذا حتمي.
- تظن أنك حاذق أليس كذلك؟
- ليس بصورة خاصة. كانت ملاحظة معقولة.
- أوه!

استدارت بالزجاج، فبساطة لم يكن في امكانها أن تربح مناقشة ضد مقاومته التي لا تتزحزح.

- اعتقد أنك تحب... إيداني.

انكبّ أدوج على الرف:

- لا تُشاطرك الرأي.

- بل انك تفعل، وارتجف فم صوفي، لماذا لا تتحدّث إليّ من دون أن تكون منهكاً حتى الوقت؟

- هل هذا ما تفعل؟

- انت تعلم ذلك!

هزّ أدوج كتفيه العريضتين بكسل. ولاحظت عضلاته القوية تحت قميصه القطني الرقيق.

- اذا امتنعت عن أن أكون، ولاستعمل تعبيرك، منهكاً، معك هل ستتخلين عن هوارد؟

ارتجع حاجبا صوفي دهشة:

- تعني... تعني أن ارفض الخروج معه؟

- أليس الليلة، فالأمر مقضي. أعني... لا تقبل أي دعوات في المستقبل.

جاءت الحيرة على صوفي وسألته:

- ولكن لماذا؟

ضاقت عينا أدوج:

- انه طلب مباشر. اجبني.

- ولكن ماذا في استطاعتي أن أقول؟ سيبدو الأمر... وقحاً جداً.

- اخبريه أنك تزمعين القيام بأمور اخرى. اخبريه انك لخرجين معي.

- معك؟ ارتفعت صوتي، ولكنه سيعلم أن الأمر غير صحيح.

- ساجعله صحيحاً.

- ولكن لماذا تفعل ذلك؟

- هوارد صديقي. ولا أريده أن يأتي مرّة اخرى. اذا كان في مقدوري منع ذلك.

ترددت صوفي:

- ما الذي يجعلك متأكداً أنني سوف لا ذيه؟

- ستعودين الى الكنترا، أليس كذلك؟ عندما تنتهي هذه اللعبة!

- ماذا تعني بهذه اللعبة؟

وخفق قلبها بشدة.

- جزء اصطلاح، هذا كل ما في الأمر. في أي حال، الأمر فعلاً لعبة أليس كذلك؟

اعني... الوضع بمجمله

لم تعرف صوفي عما تجيب. لكن لحسن حظها سمعا صوت محرك سيارة تقترب من الباحة في الخارج.

وقال أدوج بجفاف:

- يبدو أنه حضر. لا تزعجي نفسك. سيدخله أحد الخدم.

هزّت صوفي رأسها وقالت باضطراب:

- ألبي لو أنني غير ذاهبة.

هز كتفيه واعتدل في وقفته:

- لماذا؟ ستمضين وقتاً طيباً في الحالب.

- بعد هذا الذي قلته؟

- نعم. ضعي هذا الحديث جانباً.

- كما لو أني استطيع.

- حسناً... تذكريه اذن. فقط لا تخططي اي شيء ليوم غد، لاني سآخذك الى جينيفرا.

- جينيفرا؟ اين هذا المكان؟

- انه خليج صغير، على مسافة من هنا، ولا يمكن الوصول اليه الا عن طريق البحر. والشاطئ، هادئ، والماء ضحلة. فكرت انك قد توقين لجربة الغطس.

- الغطس؟ شعرت صوني بالاثارة خفيفة، يبدو الأمر مثيراً.

- انه كذلك.

كان ذاك صوت بيرز، واستدارت صوني نحو الباب لترى انه دخل الغرفة للتو

- هل كان والدي يخبرك عن نزهة الغد المقترحة؟

- انت تعلم؟

- طبعاً.

- اوه، فهمت. فجأة فقدت النزهة المقترحة شيئاً من جاذبيتها. هل سنأتي انت أيضاً؟

اجابها بيرز:

- حاولي ان تتحملي. لا استطيع الانتظار لاجعلك تشاهدين ما يوجد تحت الماء.

هزّت صوني رأسها وابتسمت ابتسامة طفيفة وشعرت بعيني آدج تحدقان فيها. لم يكن خديعتها علاقة بقراره ان يأخذها في نزهة. ولا شك أن والده هو الذي اقترح الأمر. فهو أيضاً اراد ان يبقيها بعيدة عن هوارد.

جاءت احدى الخادمات الى باب الردهة وقالت:

- السيد فليمنغ هنا يا سيد آدج جاء من اجل الآنسة ايف.

- اطلبي منه ان يدخل يا راكيل.

أمرها آدج بهدوء وهو يقفي سيكاره في منفضة عاجية:

- هل تتناولون شراباً قبل ان تخرجي يا ايف؟

لم يتسع الوقت لصوني كي تجيب، فقد دخل هوارد فليمنغ الغرفة. وبدا انيقاً وجذاباً وهو يرتدي بدلة بنية غامقة وغاير منظره المألوف، منظر آدج

الشاب من جراء السفر لكن مع ذلك، فلو انها كانت صادقة مع نفسها لاعترفت بانها تفضل البقاء في المنزل تلك الامسية، على قضاء أمسية وجهاً لوجه مع رجل توقّع يوماً ما ان يتزوّج جينيفر...

وعلى غير توقعها، تملّصت صوني بالامسية. أحدها هوارد الى نادٍ ليلي في بورت اوف سبانين، وبعد عشاء شهي تفرّجا على الراقصين واستمعا الى المزيد من الموسيقى التي كانت الفرق تتصرف عليها استعداداً لتذكر نقال المقبل. كان اخو مضمماً بالاثارة الطفيفة التي لم تدرك احداً من دون ان تؤثر فيه، ووجدت صوني نفسها تتمايل مع الموسيقى وتتمنى ان ترقص على الحلبة. وحسدت النساء اللواتي كن يرقصن ويتمايلن مع الاخان بانسجام تام وتساءلت عما يمكن ان يفكر به هوارد لو أنها تخلّت عن انضباطها وحلت عقدهن. شعرت بأنه لن يوافق، فمع انه بدا رجلاً طريا ونبوذاً شعرت فيه بشيء من الانقباض يقضي على اي اندفاع في التصرف. كان شعورها هذا حدسياً وتساءلت اذا كان لهذا الشيء علاقة في طريقة تصرّف جينيفر في الساحل.

ثم عادا الى المنزل وهما يتنسمان هواء الليل العليل، وأشار هوارد الى الأنوار الثلاثة التي ظهرت في البعد. كانا قد تحدثا كثيراً تلك المساء، أحاديث بسيطة عن الموسيقى والافلام، وكتب تمتعا بها، ولكنّهما ظلاّ صامتين في طريق العودة وتساءلت صوني عما كان يدور في ذهن هوارد. كانت هي مشغولة بتضاريس الخد، ولم تستطع أن تنكر شعور الاثارة الذي اثارته لدى التفكير بها. وبرغمت ان تذكر نفسها بأنه آدج وادركت انه لو شك في هويتها لاكتشف الأمر.

عندما اوقف هوارد السيارة في باحة المنزل أطفأ المحرك والتفت نحوها قائلاً:

- لقد استمتعت كثيراً بهذه الامسية يا ايف. أرجوك قولي انك ستأتين الى كومالي غداً!

انكمأت صوني جلساً بقدر ما تستطيع وهزّت رأسها معتذرة، وقالت له:

- اخاف الاّ أستطيع.

وكانت مسرورة لأنها لم تضطر الى الكذب وأردفت:

- حالي... حالي وبيرز سيأخذانني للإبحار غداً.

- أدج؟

قطب هوارد حاجبيه متدهشاً:

- فهمت أنه سيقضي النهار مع جانين.

- جانين!

- بالتأكيد. طبعاً لاحظت كيف هي الأمور بينهما.

حبست صوفي أنفاسها وسألت برقة:

- كلا، كيف هي؟

تنهّد هوارد، ومرّر أصابعه خلال مقود السيارة

- حسناً. أعتقد بأنهما سوف يفترقان يوماً ما. ليس هناك من داع للعجلة. فهما يعرفان بعضهما منذ مدّة طويلة

وقلّت صوفي ألاّ تظهر صدمتها:

- انا... لم أعلم.

هزّ هوارد كتفيه:

- الأمر معروف هنا، وأعتقد أنّ أحداً لم يجد من الضروري للإخبار الأم. والكل منذ وفاة جيري...

- جيري؟

- جيرالدين، زوجة أدج.

- اوه فهمت. أخشى أن معرفتي للعائلة محدودة.

- لا بد أنها كذلك.

أومأ هوارد برأسه وتابع:

- وبالطبع لا أحد يتحدّث عنها كثيراً هذه الأيام. فقد مضت عشر سنوات على وفاتها.

فتحت صوفي فمها لتسأل مزيداً من الأسئلة عن جيرالدين المجهولة ولكنها أغلقته ثانية. لم يكن الأمر يعنيها خاصة عندما فكرت أنّ لا مكان فعلياً لها في هذه العائلة. ولكنها لم تتمكّن من تناسي الأمر كلياً فقالت تحث على الحديث:

- قلت... منذ أن توفيت جيري.

- هاه؟! قطب هوارد، اوه، نعم، منذ توفيت جيري، لازمته جانين كظله. وكانت بمعرك طبعاً، اكثر بقليل من فتاة صغيرة عندما تزوّج أدج، ولكنها أحبته دائماً وأعتقد أنّ أدج يفهمها.

شعرت صوفي بشيء من الغثيان. فالشراب الذي تناولاه لم يناسبها كثيراً.

- حسناً، علىّ ان اذهب.

- ألن تغيري رأيك بالنسبة الى يوم غد؟

- لا أستطيع.

قالت صوفي وهزت رأسها بالنفي.

- حسناً. سأتصل بك، بعد بضعة أيام. ربما نستطيع تحديد موعد مناسب لنا.

تحاشت صوفي ولم تجبه وفتشت عن مقبض الباب وفجأة فتح الباب وخرجت لتجد أنّ هوارد استدار حول السيارة وفتح الباب لها.

- شهمت مساء.

وانطلقت نحو البيت.

- تصبحين على خير يا آنسة.

ما إن دخلت المنزل حتى جاء برانت للقائها قائلاً:

- أهلاً، هل قضيت يوماً لا بأس به؟

- كثيراً، شكراً لك.

كان صوت صوفي ضعيفاً ونظر برانت اليها بحدّة.

- ما الخطب؟ لونك شاحب، واسوأت حيالك، هوارد لم...

- هوارد لم يفعل شيئاً فقط أشعر بالإجهاد قليل، هذا كل شيء. تأكولات غنية بالتوابل على ما اعتقد.

- هاه.

بدا برانت غير مصدّق.

- حسناً ادخلي الردهة وتناولي بعض الشراب قبل الذهاب الى غرفتك.

كادت صوفي ان ترفض لكن صورة غرفتها المعادة جعلتها تغيّر رأيها. فهي لم تره ان تراجع نفسها كثيراً في تلك اللحظة. وسبقت برانت الى

www.liilas.com

الغرفة الجميلة وارتاحت عندما وجدتها خالية. وجلست في احد المقاعد الوثيرة وعندما سألها براندت عما تود ان تشرب.

- بعض عصير البرتقال من فضلك.

- هل هذا ما تريدين ان تشربه وانت تشعرين بانزعاج؟

- حسناً، لا اعتقد انه يكفي، لين الأخرود؟

- روزا وبيرز اخلدا الى النوم. وآدج لم يعد بعد.

والتفت صوفي الا تبدو فضولية:

- آدج خرج؟

- نعم. ذهب لزيارة عائلة فليمنغ.

بلعت صوفي ريقها بصعوبة وتناولت كأسها من براندت ونظرت اليها بتركيز.

- الصبي، هوارد... انّ آدج وجانين...

- اوه، هكذا؟ في الواقع يجب الاّ ينبغي كثيراً مما يقوله هوارد.

سألته صوفي بدهشة:

- لماذا؟

- لعائلة عائلة فليمنغ الارتباط بعائلتنا منذ سنوات، حتى قبل والدتك، لا أتوقع ان يقترن آدج بجانين.

- ولكن لماذا؟ الا يحبها، هل هذا ما تريد ان تقوله؟

- لا دخل للحب في الموضوع. يا عزيزتي ليف، انك بسيطة جداً في بعض الأحيان! خلافاً لانطباعي عن النساء الصحفيات تعلمت شيئاً ما عن أولادي، وهو انهم لا يحبون ان يجبرهم احد على القيام بعمل ما. واذا ما قرر آدج ان يتزوّج مرة اخرى، وبصراحة لا ارى اي احتمال ان يحصل الأمر، فسوف يفتش عن امرأة بنفسه. وجانين ملحة كثيراً. وقد ذهبت معه الى نيويورك.

شدّت صوفي قبضتها على الكأس.

- ولكن قلت للتو...

- حسناً، ربما اسأت التعبير. ذهبت الى نيويورك على متن الطائرة ذاتها، ونزلت في الفندق ذاته.

- نعم، من دون دعوة؟

ابتسم براندت:

- ان جانين امرأة مصرّة جداً.

- اعلم ولكن...

- ولكن، انت لا تفعلين امراً كهذا؟

قال هذا منهياً حديثه. اجابته صوفي باصرار:

- في الواقع كلاّ.

- ربما لم تصادفي بعد الرجل الذي سيقلب حياتك رأساً على عقب. انا متأكد تماماً من انّ والدتك كانت مشغولة بعمل فظيع لو أن متعتها من الذهاب مع والدك.

كانت هذه هي المرة الأولى منذ وصولها التي يتحدّث فيها عن هروب والدة ليف وتساءلت صوفي عما اذا كان وجودها هنا الآن يساعده في النظر الى المسألة بمرارة أقل. فاذا كان الأمر كذلك، تكون قد حققت شيئاً ما على الأقل. لكن ما قاله براندت قضى على هذا الاعتقاد.

- انت لا تذكرينني بوالديك، عليك كان انتهازياً.

أحنت صوفي رأسها وتجاسرت ان تقول:

- لقد... أحبّ والدتي، كما تعلم.

تنهد براندت:

- هل تعلن؟ لكنه لم يسعدها. ربما لو أنها لم تمت عند ولادتك. لكانت الأمور تغيّرت. واحتفن صوته. ولكن فات الأوان الآن. علينا ان نحاول نسيان الماضي وتحيا الحاضر على أفضل وجه.

لم تعلّق صوفي على ما قاله. كان واضحاً انّ حديثه عن ابنته يزعجه وتساءلت لأول مرّة عمّا كان يمكن ان يكون رأيه بليف. من كانت تشبه في تصميمها على الحصول لكل ما تريده؟ جينفر، التي هربت من اجل الحب، ام جيمس، الذي تحدّى هذا الرجل المتعجرف ليتزوج المرأة التي اختارها. ايت كأس البرتقال وبدت واقفة.

- حان وقت النوم على ما اعتقد.

أومأ براندت برأسه وكان تعبيره لطيفاً، وهس وهي تمر امامه:

- حاولي ألا تسيئي الظن بي.

توقفت صوفي لما شعرت من عذاب في صوته:

- آوه، ارجوك كما قلت، الامر كله من الماضي. لا يفيد ان يعقد المرء.

- شكراً لك يا عزيزي. انهي الى النوم الآن، سوف نخرجين مع بيرز وأدج غداً. اليس كذلك؟

- هذا صحيح، وضغطت صوفي على فراعه بلطف وهمست، تصبح على خير يا برانديت.

وبحركة الدفاعية انحنت الـ "...م وطبعت قبلة خفيفة على خده. لكن حتى قبل ان تعتدل في وقفتها شعرت أنها لم يعودا وحيدين. رأت أدج يقف على عتبة الباب ينظر اليهما بامعان، ونظرة تهكم تغطي ملامحه الشديدة الجاذبية.

٦ - الآلام تكشف الحقيقة!

تلاطمت امواج عليج جينيفرا برتن في الرمال البيضاء من أشعة الشمس. كان المكان منعزلاً تماماً كما وصفه ادج تحوطه صخور عالية مغطاه بالطحالب التي بدت كأنها أصدفة قنفذ قديمة. رمما المركب الشراعي على مسافة من المكان حيث وقفت صوفي وحيدة في "بقعة الشمس". وفكرت في ما كان يمكنها ان تفعله لو أن أدج وبيرز لم يعودا لسحبيها. لم تعرف كيف تقود المركب الشراعي ولا يمكن مرودا تحركه.

استدارت واستقرت على صدرها! بالتأكيد سوف يعودان. كان بيرز سيعلمها كيف تستخدم الالوب هوائي. لكنه ذهب مع أدج للتغطس ناحية الميناء قبل أن تقوم بذلك. وشكت صوفي في الأمر. في أي حين، مضى على وجودها هنا اكثر من اسبوع، وعاجلاً أم آجلاً كان عليها أن تبدأ

في التفكير في العودة الى انكلترا. لم يحب ذكر الامر لرفاقه لاسباب واضحة. لكنها اعترفت لنفسها بصدق أن فكرة الغادرة أصابتها بانقباض. لم ترغب في العودة فعلا عن جدل البيئة، أصبحت مولعة بدراستها وبيرو، لكنها لم تتحمل التفكير بمشاعرها تجاه توج.

اعتدلت جالسة وركعت على ركبتيها وراحت تراقب حركات سرطان يشق طريقه بارتياك من الشاطىء. بدأت ترى أنّ هذه الهزيمة التي دفعتها ايف الى القيام بها قد يكون لها ردود فعل من شأنها أن تقضي على أي أمل يراودها بالسعادة. وبقيت واقفة محاولة بأن تدفع تلك الافكار بعيداً عنها. كان وقت الشمس مثل النيلسم لروحها المضطربة وبسطت جسمها بخنع ولم تلاحظ أنّ أحداً يراقبها إلاّ بعد فوات الاوان. كان توج قد خرج من الماء ووضع قارورة الاوكسجين في المركب.

هوت ذراعاها الى جانبيها وانحنت لتضغر الرمال عن منتعلها. حاول فعل أي شيء يجنبها هذا الشعور المجنون الذي انتابها، وكان يدفعها الى النظر في عينيه والاعجاب بجسمه وهو يرتدي مايوه سباحة ازرق. تقدّم منها بصعوبة وهو لا يزال يضع الخفافين في قدميه وشكت من اعفاء ارتباكها بأن ضحكت وسألته بمرح:

ـ تبدو كحشار البطريق.

ونظر الى قدميه بمرح:

ـ أعني مثلهما لك ايضاً. وهاك القناع والبوب اطواء. هل تظنين أنك تستطيعين وضعهما؟

جلست صوفي على الرمال قائلة:

ـ سأحاول. أين بيرو؟

ـ سيعود قريباً. يعلم أني تركته.

أومأت صوفي وبدأت تضع قدميها في الخفافين. كان الامر سهلاً، لكن عندما حاولت البوض كان الامر أصعب مما ظنت. جهدت في ألاّ تدوس خفافاً بأخر وهي تحاول الوقوف وبعد أن رأتها توج لفترة، انحنى ومدّ يده اليها. أخذتها صوفي وسحبها بقوة، ثم تركها فوراً. تأوه قائلاً:

ـ والآن! ضعي هذا على أنفك، هكذا.

وساعدها في ذلك.

ـ هاك أنبوب الهواء. تريّن. هذه القطعة تضعينها على فمك والأنبوب مركز على قفاع الوجه... انتهينا.

أومأت صوفي برأسها. وجرّبت وضع القطعة القاط في فمها. أخرجتها ثانية وكشرت:

ـ انها كبيرة جداً. أليس كذلك؟

ـ ليس كثيراً، لكنك عصبية قليلاً. هذا كل ما في الامر.

كان توج صبوراً اكثر مما توقعت صوفي:

ـ والآن، حاولي مرة اخرى. تريّن هذه الكرة عند طرف أنبوب الهواء؟ ما عليك تنفسين بصورة طبيعية فانها تبقى في مكانها. لكن اذا طلعت تقطع عنك الهواء وعليك أن تعومي بسرعة لتهبطي؟

ـ كيف اعلم بالامر.

ـ اوه، ستتعلمين. هل تجربين؟

كانت الماء دافئة جداً قرب الشاطىء، لكن صوفي وجدت نفسها ترتجف من الخوف.

ـ استرخي ليس هناك ما تخيف.

ـ انا... اعلم.

تفحصت صوفي فم الانبوب قبل أن تضعه في فمها:

ـ ولكن لماذا ستفعل انت؟ ظننت أنك ستأتي معي لكن لا معدات معك؟

ـ اني قادم معك ولن أحتاج اليها.

أكد توج الامر ها ومرر يده عبر شعره بلا مبالاة وأضاف:

ـ والآن، ابداي السباحة. حاولي أن تعطسي لمت صفحة الماء. ابقي وجهك باتجاه أسفل وتنفسي بصورة طبيعية.

فعلت صوفي كما قال لها. لم يكن الامر سيئاً في البداية. وكزّت على تلميذ تعليمات توج كما أخذتها ألوان البحر الرائعة والحياة البحرية في العمق. سبحت سمكات صغيرة بالقرب منها واندفعت عبر صخور مرجانية مكسوة ألوان الشمس والماء المتعددة. شعرت بتوج يسبح قربها وكانت

مطمئنة.

ولكنّ تقدمها قليلاً وعندما أدركت صوفي أنها وحيدة حركت قدميها بسرعة أكبر كي تلحق به. ولسوء حظها اندفعت أكثار نحو القناع، وانسد أنبوب الهواء وامتلأ قمها بالماء المالحة. وعلمت للحظة وهلت وهي تتخبّط في الماء وتسعل محاولة أن تلتقط أنفاسها.

وبدا وكأنها أدرج أصبح قريبا فوراً، فحدّقت اليها بطمأنينة ونزع القناع وأنبوب الهواء عن وجهها وسألها عندما بدأ نفسها يتنظم:

- اترين أن تعودي؟

لكن صوفي هزّت رأسها نفياً:

- أنا على ما يرام الآن.

همست بعدم ثبات واستدارت ونظرت اليه تسأله:

- هل... هل تساعدني في وضع القناع ثانية؟ لست متأكدة تماماً كيف افعله.

أومأ أدرج برأسه موافقاً واقترب منها وقال بالتصاب:

- ضعي يديك على كتفي. لا أستطيع تثبيته عليك اذا استمريت في الابتعاد.

وضعت صوفي يديها على كتفيه ووضع القناع بسرعة في مكانه وناولها لهم الأنبوب وابتسمت صوفي قائلة:

- شكرا لك، آسفة لاني كنت بلهاء.

ردّ عليها أدرج بشيء من الحدة:

- لم تكوني بلهاء: تفتقصك الخبرة، هذا كل شيء.

رفعت صوفي كتفيها ووضعت رأس الأنبوب في فمها وتابعت بحمل وبدأت تسبح مجدداً. بقي أدرج قريباً منها هذه المرة. لكن بعد مرور ربع ساعة أشار عليها بالعودة. أرادت صوفي أن تحتج إلاّ أنها لم تجسر. وسبحت وراءه طائعة، الى أن وصلا الشاطئ، وسارا خارج الماء. كان بيرز قد عاد وفتحت صوفي حقيبة الغذاء التي حضرتها فبولييت لهم. تكوّن الغذاء من الدجاج والسلطة والبطاطا المخلوة والفواكه والمرطبات التي وضعها بيرز في الماء قرب المركب كي تبرد. بعد الغذاء استرخى بيرز لفترة قصيرة ثم سار

نحو المركب ليتسلى، وظلت صوفي وحدها برفقة أدرج.

ظنت أنه كان نائماً لكن عندما نهضت لتعد منشفتها فتح عينيه ورفع نظارته السوداوين على جبينه. سألته صوفي معتذرة:

- هل ازعجتك؟ لم اقصد...

هزّ أدرج رأسه بكسل:

- لم أكن نائماً!

- أوه. حسناً

عادت صوفي الى الاستلقاء ثانية. ولامست يد أدرج حاجبها لا ارادياً فابتعدت فاوضح لعذره هذا:

- حاولت ايقاظك...

فتغضبت خجلاً وكان ردّ فعلها مبالغاً به فشعرت بالارتباك وقالت:

- آسفة... لم أعلم ما الذي يمسني هذا كل شيء. لقد فوجئت.

- هل فاجأتك؟ اني آسف.

لكن نبرته التهكمية كانت واضحة، وعادت صوفي تتأمل المحيط وكتفاها مشدودتان وعضّ أدرج:

- بدت كم أنت حساسة فيما يخصّني.

أطرقت صوفي قبضتيها وعضت بتغضب من دون أن تنظر اليه:

- أوه، لا تنظري تغلك! لن أفقد الوعي فقط لان ادرج ساعت فبستي وضع يده عليّ!

لمّده أدرج بارتياح على الرمال الدافئة وقال معتذراً بلطف:

- لا أدري ما قصدك.

- بل تدري.

ووضعت يدها تحت ذقنها وارتسمت قائلة:

- لا بد أنّ التأثير الذي لك على بعض النساء هو أمر ملاحظ، وأنا واثقة من ذلك.

- من يلاحظ ذلك؟

ونظرت صوفي اليه بيرود:

- انت بالطبع.

نزع آدج نظارته ونظر اليها متفحصاً:

- بصفتك اية اختي، تشعرين اني مغرور، هل هذا ما في الامر؟

ترددت صوفي، مدركة لورطتها الترجيحي في الحديث:

قالت وكأنها تخاطب نفسها:

- اوه... هل يهم الامر.

- نعم أعتقد ذلك.

وضع آدج نظارته جانباً وتمعّن فيها بعد أن الشاحت بوجهها بعيداً عنه. وقال:

- أريد أن اسمع المزيد عن رأيك الذي كونته عني. هل أنت متأكدة بأنك موضوعية؟

غرست صوفي أصابعها في الرمال:

- لا موجب لبحث الامر أكثر.

- الا تفهمين أني أريد أن اسمعك، فانت تحيرينني. كيف يمكن لشخص في وضعك أن يعلم اذا كانت النساء تعجبني جداً أم لا.

أنّت صوفي لو أنها لم تقل شيئاً عن هذا الموضوع:

- انه امر واضح.

- هكذا؟! أتحيرني المزيد!

هزّت صوفي كتفيها يأس:

- انك تعيد الكرة ايس كذلك! أقصد، لتعمد ازعاجي.

ونظرت نحو الشاطىء الى حيث كان يبرز في المركب يعالج شيئاً ما في الاشرعة.

- من حسن الحظ أنّ ابيك لا يستطيع أن يسمعك.

مال آدج برأسه الى الجهة الاخرى متحدياً:

- لماذا؟ ما الذي قلته ولا يجوز أن يسمعه؟

هزّت صوفي رأسها، غير قادرة على التفكير في أية اجابة. ونظرت اليه. ومن هذه المسافة القريبة استطاعت أن ترى النقاط الصفراء في عينيه العسليتين ورموشه الطويلة الكثيفة، وعضلات فكيه القوية. كان شعره داكناً في الشمس وزاد سائداً في سمرته. فغرت فاها عندما اصبحت

نظراته أشدّ تركيزاً واضطرت الى أن تنظر بعيداً وهي تكاد تكون مصدومة من المشاعر التي حرّكها فيها. وشعرت بعصبية عندما أحسّت بأصابعه بلامس بشدة يدها لكنها لم تقل شيئاً.

- لقد اصبحت سمراء. وهذا يلائمك.

بلعت صوفي ريقها بعد أن استعادت هدوءها.

- ما الذي تحاول ان تفعله يا خالي آدج؟ تبيّن لي خبرتك بالنساء؟

اسودّت عينا آدج غضباً وامسك بذراعها بقوة:

- اتدبهي... يا ابله! ربما تزعجني هذه الامور أقل مما تزعجك!

- ماذا تقصد؟

- اعني انك قد تحصلين على اكثر مما راهنت عليه عندما أتيت الى هنا.

- أنت... انت لا تستطيع أن تجبرني.

- لا استطيع؟ اعتقد أني استطيع، بل أنا متأكد من ذلك.

- اتركْ ذراعي! أنك تزعجني.

- صحيح؟

لمعت عينا آدج بصورة خطرة:

- لا تقولي لي ما علي عمله!

- لم لا؟

لم تعرف صوفي ما الذي كان يدفعها لأن تخاطر بمثل تلك الطريقة. علمت أنّها كانت تخاطر لكنها شعرت بالاثارة لعلمها أنها قادرة على اثارة اعصابه ولو بصورة طفيفة. نهضت واقفة لكنها تعثرت ووقعت على الرمال. أمسك بها بعنف وشعرت بالخوف وأصبح تنفسها سريعاً وغير منتظم. تنهّدت بعمق وشعرت بقبضته تفلتها. وقفت آدج ونظر اليها بغضب ثم استدار بعيداً وبدا عليه الاحتقار ولم تعلم اذا كان يحتقر نفسه أم يحتقرها هي". استلقت صوفي على الرمال مشدوهة بالاثارة التي حصلت لكن بدا واضحاً أنّ آدج ملّ رفقتها اذ سار بعيداً عنها نحو المركب وجعلها تشعر بوحدة لم تشعر بمثلها قبلاً.

صار لدى صوفي الوقت الكافي خلال اليومين التاليين لتفكر بأحداث ذلك النهار الكارثة. بعد أن قرر آدج رفضاً عن والده أن يقود المركب للأجور

الذي سيبحر في اليوم التالي في رحلة عبد تستغرق يومين، وكان بيرز متشوقاً جداً لمرافقته. ومع أنّ رحل أعمال من فنزويلا وزوجته استأجرا اليخت قبل اسبوع، أدركت صوفي أنّ آدج قرّر الذهاب فقط كي ينجيها. أقنعت نفسها بأنها سعيدة للذهاب، وبأنّها ستتمتع في غيابه لكنها ادركت أنها تخدع نفسها. فعلى رغم ما حدث بينهما، شعرت بنفسها تحاول نحوه أكثر فأكثر، على الاقل فكرياً. ومرّت لحظات في طريق عودتهم من خليج جينيفر عندما شعرت بأنها تريد ان تذهب اليه وتعتذر عن تصرفاتها وتطلب الغفران. لكنها بالطبع لم تفعل، وها هو الآن يتركها وحيدة مرة ثانية.

في غياب بيرز، أمضت صوفي وقتاً أقلّ في السباحة، وأخذت تطوف في أرجاء المنزل الأنيق على غير هدى. علمت أنّ عليها مقاطعة براندت في موضوع مغادرتها. ومهما يكن من أمر، عليها اللحاق. فقد كان من الأفضل لها مغادرة المكان والابتعاد عن آدج الذي كان يشوّش أفكارها. فالخبرة التي شعرت بها هنا جعلتها تتوهم أموراً كثيرة. وأملت في أنّ الرجوع الى سانفرانسيسكو، وتنظيم أمور عملها، سيتسبب لها كل هذا الاندفاع السارّ الذي شعرت به تجاه رجل ظنّ انها ابنة اخته.

في صباح اليوم التالي، غادر آدج وبيرز المنزل، تناولت الافطار مع براندت وهو حدث غير عادي لكن براندت هو الذي رتّب الامر على ذلك النحو بسبب غياب الآخرين. وشعرت صوفي أنّ الوضع ملائم جداً، وبعض الشيء ذكرت أنها استغرت عن الطائرة المغادرة الى انكلترا. لكنها، لم تكن مستعدة لرؤية فعل براندت. فقد دفع كرسيه الى الوراء ووقف امامها بعصبية وبدأ تقريضان على جانبيه. وقال بحدة:

- لا يمكن أن تكوني جادة.

طرقت عينا صوفي:

- لم لا؟!

- لم لا؟! لم لا؟! لانني لن اسمح بذلك، هذا هو السبب.

حاولت صوفي أن تبقى هادئة:

- براندت، يجب عليّ أن أغادر.

انحنى الى الامام ووضع يديه على الطاولة أمامه ونظر اليها نظرة ثاقبة.

- منذ بضعة أيام فقط سألتك أن تفكري في البقاء هنا لمدة سنة، والآن تأتين اليّ بعد أقل من اسبوعين على وجودك هنا لتخبريني ببساطة انك استغسرت عن الطائرات المغادرة؟! كيف تتوقعين أن يكون ردّ فعلي على هذا الأمر؟

شعرت صوفي بشيء من الحيرة، فقط لو كان بامكانها أن تخبره كم ترغب في البقاء، لكنها أجبرت نفسها على قول ما كانت ايف تتوقع منها أن تقوله واحتجت لمجاراتها؟

- لكن يا براندت، خطّطت للبقاء لمدة اسبوعين أو ثلاثة اسابيع فقط.

- لكن هذا حدث قبل أن تلتقي... قبل أن يعرف أحدنا الآخر. فتنت وخيل اليّ، ربما عن سذاجة أنك بدأت تحبين الاقامة هنا... انك تحبينني!

حدقت فيه صوفي باستسلام. ثم همست متذمرة:

- اوه يا براندت، اني أحبك وانت تعلم ذلك. لقد كنت لطيفاً جداً معي. سأفتقدك كثيراً.

- اذن لا تذهبي، الامر بيده البساطة.

- كلا، انه ليس كذلك.

احتارت صوفي كيف تفسر له الامر من دون ان تؤذي مشاعره؟

- لا أستطيع التخلّي عن عملي لمدة سنة وبالتالي أتوقّع متابعته من دون مواجهة مصاعب جمة.

- نعم، في الواقع، هذا ما ينبغي علينا التحدّث عنه، اليس كذلك؟

قطبت صوفي حاجبيها:

- لا أفهم.

- الان يا ايف، دعينا لا نتظاهر بأنّنا لا نفهم. علمت عندما أتيت الى هنا بأني سأفعل ما في وسعي لابقيك هنا حتى لو تطلّب الامر تأسيس وكالة صحافة خاصة بك، فأنا على استعداد للقيام بذلك.

دهشت صوفي. ولجأ تذكرت أمراً آخر قاله براندت في السابق، عن أنه مستعد أن يساعدها! ولكن لماذا؟ هذه الطريقة؟ لم يبد ما قاله مهمّاً

وقفت. لكن صوفي وجدت نفسها كسائل هيا قائله ليف لها عن ذهابها، الى تريبنداد؟ ولماذا لم تذكر لها شيئاً. بالطبع كان الجواب عن ذلك جلياً. فكر أن صوفي أحسّت أنّ في الامر ما يتعدّى قضية الاسترحام الذي أبداه ليف لها، لكانت رفضت التجيء، وكانت ليف تدرك ذلك. ولكن هل يعقل أن تكون رغبة ليف الاّ تخيب أمل جدها دافع مادي؟ كانت الفكرة رعيبة وغير مستساغة، وتساءلت صوفي عن الورطة التي أوقعت نفسها فيها. والامر الوحيد الذي تستطيع أن تفعله الآن هو ان تبرق لليف تطلب منها أن تكتب وتخبرها عما كانت تأمل ربحه من خداعها هذا.

فجأة ادركت ان براندت كان لا يزال ينتظر اجابتها، وهزّت رأسها بشيء من الدهشة وقالت:

ـ لا أتوقع منك أن تفعل شيئاً من هذا القبيل انا... انا لا أمانع في البقاء صدقني. الامر هو... اني يجب أن اعود.

ـ لكن ليس بعد اسبوعين!

أزاحت صوفي خصلة من شعرها خلف اذنيها:

ـ حسناً. ربما أستطيع ان ابقى... ثلاثة اسابيع.

ـ اربعة؟

ـ انا لا أقايض معك.

ـ ولكنك ستبقين لمدة شهر أليس كذلك؟

نهضت صوفي عن مواقفتها البقاء طوال النهار. في أي حال، كانت فترة الاجازة التي حصلت عليها لا تزيد عن ثلاثة اسابيع على أبعد تقدير. وهناك مشكلة التفكير بليف. كان عليها الذهاب الى بورت اوف سبين وارسال البرقية بطريقة ما من دون أن يتنبه أحد. ويمكن لليف أن تكتب اليها رسالة من دون أن تخاف فضح أمرها. لكن من الصعب عليها ارسال برقية موجهة اليها عن طريق شقة ليف في لندن من دون اثارة الكثير من الشكوك.

عاد أدج وبيرز ذلك المساء بينما كانت صوفي وبراندت وروزا يتناولون طعام العشاء على الشرفة. وأنهما تحرمهم ليعلنا عودتهما ولم تستطع صوفي أن تتذكر شعور الطمأنينة الذي انتابها عندما علمت أنهما عادا الى المنزل

سالمين. بدا أدج جذاباً وكسولاً وهو يرتدي سروالا مبللاً وسترة مفتوحة حتى الخصر ودلّته غير حليقة. سألها براندت وهو يبتسم ليرحب بها:

ـ هل سار كل شيء على ما يرام؟

أجاب بيرز بحماس:

عظيم! واصطدنا سمكة باراكودا كبيرة الحجم!

استمع أدج الى ابنه يتحدّث بحماسة وبدا صبوراً في اصغائه. ولم تكن هذه المرة الاولى التي لاحظت فيها صوفي الحب العفوي الذي كان يبديها وشعرت بوخزة حسد. وقال أدج مواقفاً بهدوء:

ـ كانت رحلة ناجحة الى حدّ معقول.

ـ اصطدنا الكثير من الاسماك الصغيرة وسمكتين كبيرتين. وفضلاً عن وقوع ماريا من التركب سار كل شيء على ما يرام.

انتفض كتفا براندت:

ـ من وقع عن ظهر التركب؟

ـ ماريا زوجة ديغو. أنذرتها سمكة الباراكودا الى حدّ كادت أن تنسى وجبة طعام للسمكة وليس العكس.

استمعت صوفي الى حديثه بغيرة. كان يمكنها أن تعلم بأنّ هناك امرأة غالية في عالم أدج. كان براندت مهتماً فسأل:

ـ وهل هي بخير؟ ألم تصب بخروج؟

هزّ بيرز رأسه نفياً:

ـ أوه، كلاّ! غطس والدي في الماء وانقذها. كانت غاطتها هي. غضب زوجها جداً، أليس كذلك يا بر؟

هزّ أدج كتفيه بعدم اكتراث:

ـ لا بأس عليها. لم تصب بأذى. فقط ابتلت واضطربت. هذا كل شيء، ونظر الى صوفي متعمداً وأكمل، تميل النساء الى الخوف، لسوء الحظ.

نظرت صوفي الى السرطان الذي جثم في صحنها. وفقدت شهيتها بسرعة وأثبت نفسها لأنها كانت تكترث لأي شيء يقوله أو يفعله أدج. فلماذا لم تستطع أن تنظر اليه كما نظرت الى براندت أو بيرز؟

فهي أحبّت كليهما وهما بالتالي أظهرا لها الودة ذاتها، لكن كانا يتميّز آدج عن غيره؟

اعترفت أنها شعرت بوجوده على نحو لم تكن تعهده منذ لقائهما الأول في بورت أوف سبين.

أراد براندت أن يعرف المزيد عن الرحلة، لكنّ الضجر لاضطراره الى الاستحمام وتبديل ملابسه. وعاد براندت الى الطاولة وهز رأسه وهو يعود الى تناول طعامه.

- تصوّروا ذلك. وقعت عين فهير الركب بالفعل! دائماً أقول ان النساء على متن التراكب المأجورة هنّ اعيز سيئة!

تظاهرت صوفي بأنها منكبّة على التهام طعامها لكنها تشوّقت الى معرفة المزيد عن امرأة الفترويلية وسألته بعفوية مقصودة:

- أتعرف هؤلاء الناس؟

قطب براندت حاجبيه وأجاب:

- أن ريفرو؟ في الواقع، لا اعرفهم شخصياً. لكنني أعرف أنّ رافاييل يعمل في مجال النفط، مثلنا. تعامل آدج معه في السابق، كما؟

- كنت اتساءل فقط عن هم... اعني... هل هم اصدقاء له؟

- اتعنين اصدقاء آدج؟ ولكنها ليسا من جيله.

لم تستطع صوفي الآن تتجاهد بارتياح:

- اوه، اعتقدت... تصورت انها أصغر سناً.

- لأن ماريا فيبغو وقعت؟ أوه ايها لانثية يا عزيزتي تثور بسرعة، واعتقد انها فقدت توازنها اثناء القصف.

اومأت صوفي رأسها:

- اعتقد ذلك.

عندما عاد آدج وبيرز اكدت فيولينت لهما أنها لم تنسهما. تركت صوفي براندت يتحدّث اليهما وانضمت الى روزا في الزاوية. وسرعان ما حضر براندت لكن قبل أن ينتهيا من تناول القهوة سمعوا صوت سيارة تقترب من المنزل. بدا براندت نافد الصبر وأحسّت صوفي أنه اعتقد انقدام هوارد فليمنغ لا محالة. لكن الخادمة جاءت وقالت إن الآنسة فليمنغ قد جاءت.

دخلت جاين فليمنغ الغرفة وبدت سمراء وأنيقة وهي ترتدي ثياباً مرقطة. وبعد أن حيّت براندت وشقيقته، ابتسمت لصوفي بيرود وقالت:

- لكن اين آدج؟ اعتقدت أنه سيعود هنا انساه؟

اقترح براندت عليها أن تتناول كأساً من الشراب وقال لها:

- لقد عاد. لكنهما تأخرا عن موعد العشاء. سينضم الينا قريباً.

- أوه. فهمت.

نظرت جاين حولها واخيراً قرّرت أن تجلس قرب صوفي على الاريكة الطويلة الوثيرة:

- وعندئذ أن أحضر حالما يعود.

فكرت صوفي بالفاسقة في تصرف جاين اذ هي لم تضيع اي وقت، في اي حال، كان بخاين كل الحق في ان تكون حيث هي

جاء آدج بعد دقائق وحيّت جاين واقفة ترحب به:

- اهلاً، يا حبيبي هل كانت رحلتك موفقة؟

ذهب آدج ليحضر لنفسه شراباً، رافضاً شرب القهوة التي عرضتها عليه عمته، ورافقته جاين. أخذا معاً يصوت هامس في الزاوية ثم استدار آدج وقال انهما قررا الذهاب الى بورت أوف سبين لتحية السهرة.

- فكرة جيدة.

هتف براندت بحماسة غير منتظرة وأضاف:

- ولم لا تأخذ ايف معك؟ فهي امضت يومين طيبين عندما كنت أنت وبيرز بعيدين.

أنا متأكد انها مستمتع بالخروج هذه الليلة.

ارتاعت صوفي وبدأت تتكلم:

- اوه حقاً، اني مسرورة في البقاء هنا.

- هراء! يمكن لبيرز أن يذهب وهكذا تكونوا أربعة.

- بيرز أعتقد للتوم.

قال آدج بجفاف وأضاف:

- كان متعباً. لذا لن يذهب الى اي مكان. ولكن اذا اردت... ايف ان تنضم الينا...

قالت صوفي بإصرار:

ـ كلا كلا، شكراً لك. أفضل ألا أذهب. ثم إني أحس بصداع.

بدا الارتياح طافراً على جانين. لكن أدج لم يقتنع بحجتها البسيطة. وزفر براندت بغضب صبر وقال:

ـ هواء الليل سيريحك من الألم!

ـ كلا، هزت صوفي رأسها نفياً، شكراً لكما في أي حال.

وتنفست جانين بسهولة أكبر:

ـ حسناً، سوى الأمر هكذا، هلاّ نذهب؟

سألت أدج وبدا عليها أنها متشوقة لابتعاد أدج قبل أن يقترح والده أمراً آخر.

أومأ أدج برأسه وقال وهو يشرب الشراب.

ـ لم لا؟

ثم نظر إليها وشعرت صوفي بألم حاد كالسكين في معدتها.

ناحت باكية تلك الأمسية، قرابة العاشرة لكنها لم تستطع أن تغفو. واستمرت تفكر بأدج وجانين وهما يقضيان الأمسية في مكان ما متعانقين. وهذا الفكر سرق النوم من عينيها. وأخذت تدرك أن مواقفها على البقاء أسبوعين آخرين ستجعل الأمور أشدّ قساوة. فلم يعد بنفعها بكاء الأمر. فقد أدركت أنها تحب أدج، ولم يكن في وسعها أن تفعل شيئاً حيال هذا الأمر.

٧ ـ عواطف خائفة

كانت صوفي لا تزال مستيقظة قرابة منتصف الليل، فنهضت من السرير وارتدت معطفاً حريرياً قمحي اللون ناسب قميص نومها. وسارت نحو الباب وخرجت إلى الشرفة.

كان هواء الليل بارداً ومفعماً برائحة طيبة، وسمعت صوت تلاطم الأمواج على الصخور فشعرت بحنين مفاجيء لأن تكون قرب الشاطيء لتشعر برذاذ الماء الناعم على وجهها. واستدارت وعادت إلى الغرفة وليست صندالاً خفيفاً وفتحت باب غرفتها. كان البيت ساكناً، ولم يعكر صفوه سوى دقات الساعة. ولم يكن أدج قد عاد بعد، لكنها لم تهتم للأمر. لم تتوقعه أن يعود قبل الفجر. هبطت الدرجات الحجرية نحو الباحة. بدت الحديقة غريبة وغير مألوفة في ضوء القمر، وتحولت ألوان الزهور إلى ألوان

فمي. وتذكرت قصيدة قرأتها للشاعر والتر دولامار كانت القصيدة عن ضوء القمر أيضاً، وقد دعاها فقط:

وعادت اليها كلمات القصيدة وهي تهبط الدرجات الى الرصيف:

في الليل... يسبح القمر
صامتاً بطيئاً
بربطه الفضي هالة
تغمر الفضاء
يلبس أغصان الشجر فضة
يتلفت ولا يرى سوى
الثمار والأزهار الفضية.

غابت الكلمات تلك الأمسية الكئيبة. كانت قصائده دائماً تثير فيها تلك الشعور بالخيال والغموض اللذين كانا جزءاً لا يتجزأ من طبوغرافيا هربت من خلال اكتظاظ بالنساء السنات وانشت صوتي عن هؤلاء هنا في القصص والاشعار، وربما كان ذلك الشعور القوي بمدار الخيال، هو الذي سيعلمها تهجي الشرح. وبالتأكيد كانت ميزاتها الأولى وحيدة. وشعرت بالم. لقد مر وقت طويل منذ أن سألت نفسي أنها قضت جزءاً كبيراً من حياتها تتطلع من باب ضيق موصداً من أن تحيا فعلاً. كان الجو أكثر برودة على الرصيف، لكنها رحبت به بعد النهار الحار. تلاطمت الماء على الصخور ونثرت رذاذاً أبيض لمع في ضوء القمر الذي أضفى تلك الليلة لوناً مفضضاً. انعكس على الصخور. وجعلها شعور العزلة تعود الى صعود الدرجات ثانية. وسمعت أصواتاً من أجل. لم يكن هناك ضجيج حركة، لكن حفيف الدواليب القوي كان واضحاً ثم سمعت صوت اغلاق باب سيارة. لا بد أن أوج عاد بسرعة أكثر مما توقعت. توقفت عن الصعود. وأيقظ وجوده على الأقل شعور الخوف الذي اختبأ قبلاً. لم تعد تقوى على الصعود ومواجهته. قد يعتقد أنها تراقبه، ثم أي سبب معقول يمكنها أن تعطيه لتفسر وجودها على الرصيف في تلك الساعة من الليل؟ كلا، كان عليها أن تنتظر بضع دقائق وتعطيه الوقت الكافي للذهاب الى غرفته قبل أن تتجاسر وتدخل الى المنزل مرة اخرى. ارتعدت. اصبحت البرودة التي تلذذت بها

ساعة خرجت، فارضة الآن. واحتلت أعصابها رعدة حادة بها. ووجدت نفسها تتمنى لو أنها لم تترك غرفتها الآمنة نسبياً، حتى سريرها بدا أكثر جاذبية الآن.

واخيراً، عندما شعرت أنها تراقب من شدة البرد، صعدت الدرجات الحجر به بسرعة، محاولة أن تدفئ نفسها بعض الشيء. وحتى أنها شعرت بتقدمها لتصافح يوزي وس أصابعها ولد عندما تستيقظ. كان المنزل مظلماً وتهيأت نسيمة الرياح. صرت الباحة وصعدت الدرجات المؤدية الى الشرفة. وأدارت مقبض الباب بثقة ثم تراجعت الى الوراء مذعورة. كان الباب مقفلاً من الداخل ولم يكن في امكانها الدخول ثانية. فوراً عاد الذعر الذي انتابها سابقاً بكل قوته. ماذا تستطيع أن تفعل الآن؟ كيف يمكنها الدخول من دون أن توقظ أهل البيت؟ هزّات من روعها وحاولت أن ترجع مرتقاها بهدوء. وبدا واضحاً أن الأبواب كانت موصدة، لكن قد تكون نافذة ما مفتوحة. عليها أن تتحرى الأمر. صارت عبر الشرفة وحاولت بقلق أن ترى اذا كانت الأبواب مفتوحة، لكنها كانت مغلقة هنا.

استدارت صوب الى الناحية الأخرى. غابرة الباب الشبك ثانية وضغطت بضع درجات اتصل الى أبواب أخرى. وتلك أيضاً كانت مغلقة وضغطت أنفها بالزجاج محاولة أن ترى الداخل. وعرفت أن الغرفة كانت مكتب براندت، وكانت أن تتذمر وتبتعد بيأس عندما امسكت يد نوبة بذراعها. أخفت من الخوف وأدت تخيلاتها السابقة بها الى حالة من الفزع المستشري وناضلت بعنف ولكن الصوت كان آتياً وطبياً.

فارخت وارخت كتفاها ونظرت الى وجه أوج الكفهرير الذي بدا عليه النوم.

همست وهي ترتجف:

- انا... انا لقد حسبتني في الخارج.

- جسدك في الخارج؟

هزّ رأسه من دون أن يفهم ثم شعر ببرودة تتسلل عبر معطفها الى حيث قبض على ذراعها، ثم قاده بعنف:

- ماذا تعتقدين أنك تفعلين خارج المنزل في مثل هذا الوقت من الليل؟

كان واضحاً أن سؤاله لا موجب له وسحبها معه وهو يحاطها عبر الشرفة والباب الشبك. وتوقف لحظة كي يقفله ثانية، ثم سار بخطى ثابتة عبر القاعة المظلمة وال الردهة. وأغلق الباب وراءه وتركها وذهب ليشعل مصباحاً، ثم استدار يواجهها وقد اكتسى محياه التوسيم تعبير متجهم وسألها:

- حسناً؟ ماذا كنت تفعلين؟

تلعثمت صوني أطراف ردائها. وتمنّت لو أنه يتوقف عن النظر اليها بتلك الطريقة المحنقة وكأنها شيء غير مستساغ وجده على عتبة منزله. تنهدت بعمق وقالت:

- رأيت أن الرصيف.. لم أستطع النوم ورغبت في السير.. وعندما.. عندما عدت كان الباب مقفلاً ولا بد أنك أنت حبستني خارجاً.

- ولماذا أنا؟

- لماذا، لأنه.. في الواقع.. حيث أنك الشخص الوحيد المستيقظ فلا بد أن تكون أنت.

- أوه حقاً؟

- في أي حال، كيف علمت أن الشخص الذي كان في الخارج هو أنا؟

رفع أدوج كتفيه ثم أرخاهما بحركة عفوية:

- لم أعلم. ولكن عندما يسمع أحد شخصاً ما يحاول فتح جميع الأبواب والنوافذ يستنتج أن ذلك الشخص يحاول الدخول. ذلك لا تصلحين لمهمات سرية. فانت تحدثين الكثير من الجلبة.

- أوه، شكراً لك لأنك ادخلتني المنزل. أعتقد أنه من الافضل أن اذهب الى مخدعي والآن الآن.

- لك تزعجني من أمره. وأنت في حاجة الى ما يدفئك وألاّ ستصابين بالنزلة الصدرية.

- أوه، لا. حقاً سأكون على ما يرام عندما أنام.

- ولكني اصر.

أحضرها شراباً ورافقها وهي ترتشفه. كانت تضع يداً على ياقة ردائها

والسلك بالكأس باليد الاخرى. وشعرت بضعف تجاهه، وتمنّت لو أنه يذهب ويجهز لنفسه كأساً. لو يفعل شيئاً ما عوضاً من الوقوف امامها. جاء صوته ليقطع حبل تفكيرها:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟

- اوه.. أجل، شكراً لك، ان أسفة لانني.. ازعجتك.

ضاقت عينا أدوج:

- يجب أن تحوي الناس عندما تنوين الخروج للتنزه في منتصف الليل. لربما لم أكن هنا لأدعك تدخلين، لو كان من المحتمل أن تتعرّضي لحادث.

- ماذا تعني؟

- أن تلك الدرجات قد تكون خطرة خصوصاً في الليل. كان من الممكن أن تلقي أو تنوي كاحلك. وعندها ماذا كنت تفعلين؟

- لا ادري، وناولته كأسي شرابها قائلة، لا أريد المزيد شكراً.

- اعني الكأس!

- كلا. أنا.. انا لا أحب كثيراً.

- ليس القصد أن تحبي طعمه هذا دواء، وأنت تعلمين ماذا يقولون عن الادوية.

أحنت صوني نفسها مرتجفاً وقالت:

- لا أستطيع أن اشرب المزيد منه.

نظر أدوج اليها باهتمام، وركّز بصره على وجهها وشعرها.

وقال لها:

- اخبريني أليس هناك شاب متشوق الى عودتك الى لندن؟

خطت صوني خطوة الى الوراء وقالت:

- انا، لا أعتقد أن هذا من شأنك.

غير أدوج المسافة التي فصلت بينهما بثلاث وقع خطوات:

- ولكني مهتم.

قال لها ذلك وعيناه العسليتان تلمعان بشكل مثير. خطت صوني خطوة اخرى الى الوراء ونظرت حولها تبحث عن مكان ما. واعترضت:

- انه من السخف أن تحدث مثل هذا الأمر في الساعة الأولى بعد منتصف الليل.

- لكن أحبيني على سوائي.

حطت صوفي مرة أخرى الى الوراء، واصطدمت لتجد قريب من الباب، وقالت ترجوه:

- أرجوك توقف عن ايذائي، واسمح لي أن أذهب للنوم!

- انا لا أحاول ايذاءك!

توقفت آدج أمامها ولم يكن يفصل بينهما إلا بضع مستمترات وتمهل مدّ يده وجذب خصلة من شعرها بقوة.

- أريد أن أعلم الخبر والدي أنك وافقت على البقاء هنا لمدة اسبوعين آخرين وأريد أن أعلم السبب.

حاولت صوفي أن تهدىء نفسها المتسارع:

- حسناً، حسناً. يجب أن تعرف لماذا سأمكث. لقد أحببت، تراجعت وتبرز وأحببت الاقامة هنا.

خفض آدج نظره، وبدا انتباهه مركزاً على اصابعها التي أمسكت بمعصى رقبتها. علّق بصوت أجش:

- لاحظ أن اسمي مشهور بسبب غيابه عن مجموعة الناس الذين تحبين.

ارتعشت صوفي:

- انا لم اعتقد بأنك تأبه للامر.

وحاولت أن تبدو غير مهتمة ثم تابعت:

- يبدو أن هناك اناساً يشعرون بأكثر من مجرد ميل نحوك.

فتح عينيه قليلاً ونظر اليها بامعان:

- وكيف تعلمين ذلك؟ قد اكون غير محبوب الى درجة ملحوظة.

- أشك في ذلك، ونظرت صوفي بعيداً عنه، أوه أرجوك، دعني اذهب.

لمعن آدج فيها وعلت وجهه انفعالات الارتياح:

- انت لا تدفعين كمتواطئة، أليس كذلك، يا ايف؟

نظرت اليه بسرعة:

- لا أدري ماذا تقصد.

- لا تدرين، وشعرت بالخوف قطعانها قائلاً، استرخي، لن أؤذيك.

- دعني... دعني أذهب.

- واذا لم أدعك، ماذا تفعلين؟ تصرخين للنجدة؟

- أرجوك.

وصلت صوفي الى درجة أصبحت معها مستعدة لأن ترجوه.

- أي مدعة. وأريد أن أنام.

عندها اقترب ... وشعرت بانقباض أعضائها وعجبت كيف أنها لا تزال متماسكة الذهن.

- قلت لك. لن أؤذيك.

- أدج...

تهدّج صوتها ونظر الى عينيها وشعرت به يجذبها نحوه وأرادت ان تقاوم لكنها لم تستطع. وفجأة تكسرت الكآبة التي كانت لا تزال في يدها وهوت على الارض وتيقظت واقتطفت أنفاسها، وحاولت ان تفلت منه لكنها لم تتمكن وما ان تراجعت حتى وضع يديه خلف ظهره وراح يراقبها عنه عاوياً ابتعادها عنه قائلاً:

- لا، يا ايفي، لا.

وهزّها بعنف وانفضّت وجنتاها عجلاً وبأصابع مرتعشة لمست أطراف رداتها:

- الوقت تأخر قليلاً لتفعلي هذا، أليس كذلك؟

سألها آدج بفظاظة واستدار بعيداً وظهر عليه الاحتقار.

- يا ايفي. فقط اغربي عن وجهي يا صوفي!

لبرهة لم تستطع صوفي أن تدرك ما قاله لكنّ آخر كلمة فاها جعلتها تفهم.

- صوفي؟

قالت وهي تكاد تختنق:

- انت... انت تعلم اسمي؟

ابتعد آدج عنها واستند بجسمه الى الطاولة وبدا بارداً ومنتبهاً.

- عرفت اسمك منذ وصولك الى هنا، قبل ثلاثة أيام. والآن، اخرجي من هنا قبل أن أفعل ما قد ندم عليه.

لم تستطع صوفي أن تستوعب الأمر فوراً. فقد حدثت أمور عدة في وقت قصير جداً لم تتمكن معه من فهم ما يجري تماماً. حركت رأسها ببطء من جهة الى اخرى، محاولة فهم ما يجري لها كل الذي حصل لكنها اصطدمت عينيها عندما نظرت ناحية أدوج ورأت الكراهية العارمة تلتهب فيهما.

- أوه... أدوج...

بدأت لحاظه بنعومة لكنّه نهرها بلهجته الصارمة.

- لا أريد التحدّث اليك أبداً. فمعي وهو يمسح فمه بلفة يده، فقط اذهبي واتركيني وحدي!

أدار ظهره. وصارت صوفي مترنّحة نحو الباب ثم توقفت. كان رأسها يضج بصخب وشعرت بالغثيان لكنها لم تستطع ان تصدّق أنّ أدوج لم يعد يشعر بشيء تجاهها. واستاءت من نفسها بسبب ما حصل وهمست قائلة:

- أدوج أرجوك، دعني أشرح الأمر.

- اخرجي!

كان صوته مشبعاً بالغرف فخرجت وهي ترتطم بالأثاث وصعدت السلم الى غرفتها بصعوبة قطعته فتات باكية في داخلها.

كان غراً مدعشاً أن يكون الصباح مشرقاً دافئاً مهما حرى الذيل من أمور. وبالنسبة الى صوفي، التي أيقظتها الخادمة ليزا، كان بريق الصباح أشبه بنحية ساخرة لها في حزنها. وأصلحت لتبقى من السرير الواسع. وطرقت عيناها بحدم تصديق وهي تنظر الى الساعة على الطاولة الصغيرة الحادية عشرة! لا يمكن أن يكون الوقت متأخراً الى هذه الدرجة!

حملت الخادمة صينية وعليها كوب من القهوة وبعض السندويشات الساخنة. وحاطبتها بلهجة جدية:

- الآنسة فيولت قالت انك تحتاجين الى هذا.

كانت صوفي متأكدة أنّ الخادمة لم تنظر لها أبداً عندما جعلت فيولت تؤنبها.

- أوه، حسناً. شكراً لك.

واعتدلت صوفي في السرير وأزاحت بعض الأشياء الموضوعة على الطاولة الخارية كي تتمكن ليزا من وضع الصينية عليها.

- سوف أنهض فوراً.

هزّت ليزا كتفيها:

- هذا كل شيء؟

قالت صوفي متنهدة:

- نعم، شكراً.

هزّت ليزا كتفيها ثانية وغادرت الغرفة وبعد خروجها خرجت صوفي في السرير، وأحنت رأسها باستكانة واستدار شعرها الكستنائي كالغيث على وجهها. ثم وضعت رأسها بين يديها وانهكت بعمق، وتساءلت عن الاشياء أدوج بقائمها في السرير عملاً متعمداً لتجنب الجنوح. بالطبع، لا بد أن يفكر هكذا. لم يكن يعلم أنها ظلت مستلقية لساعات طوال وهي تشعر بالتعاسة والغثيان، تحاول بعدها ست حبات اسبرين كي تهدأ.

لم تمس السندويشات لكنها رحبت بالقهوة. كان فمها ناشفاً وبعد رشفات قهوة عدة نهضت وذهبت الى الحمام للتظيف أسنانها. لم يكن شكلها مريحاً للنظر في المرآة وبدت عيناها سوداوين قاتمتين لشدة ما بكت وكان حولهما شاحبين هزيلين.

استحمّت بالماء البارد وتمنّت أن يمحيها الحمام. وبالفعل، شعرت بتحسّن حالما خرجت، لكنّ شعوراً بالفراغ داخلها بقي على حاله.

ارتدت سروالاً وردي اللون وسترة زرقاء وسرّحت شعرها بحركات سريعة يائسة وقالت لنفسها أنها لن تكون كالفأرة التي تختبئ في الزاوية بانتظار ضربة القاضي. ستخرج وتلاقي الحدث بكل ما لديها من شجاعة. وتري ادوج انها لم تكن جبانة ايا تكن النتيجة.

عندما نزلت الى الطابق الأرضي صادفت بيرز والتقت أعصابها الشبه التشابه بينه وبين والده. سلّم عليها بحرّ:

- مرحباً. هذا افضل وقت للاستيقاظ. انتظرتك منذ ساعات.

بدا الحرص في عيني صوفي:

- لتنظرني؟ لماذا؟

نظر بيرز نحو السماء بإعياء ظاهر:

- لماذا؟ تسألينني لماذا؟ ألا تذهب عادة للسباحة في الصباح؟ اعلم أني ذهبت بعيداً لمدة يومين، لكن هذا لا يعني أنّ احوال تغيّرت فجأة.

- اوه! نسيت.

- نسيت؟ كيف يمكنك أن تنسي موعداً مهماً كهذا؟

وتظاهر بيرز بأنه تأذى.

- اذن ما الذي تنتظرينه؟ ألا تريدين أن تسبحي؟

ترددت صوفي متظرة بعصبية أن يسمع آدج أو يراقبهما ويظهرا وأخيراً قالت:

- انا... لا أشعر بميل للسباحة اليوم.

تقدم بيرز نحوها، وتفحص، وتفحص ملامحها عن كثب وسألها باهتمام:

- قولي لي، هل أنت على ما يرام، تبدين شاحبة، هل نمت في ساعة متأخرة ليلة امس؟

- يمكنك أن تقول ذلك لي... لم أنم جيداً.

- أستطيع أن أرى ذلك، أوما بيرز رأسه، تعالي دعينا نذهب ونجلس على الشرفة وسأخبرك عن رحلتنا.

بقيت صوفي على ترددها:

- أين براندت ووالدك؟

نظر بيرز اليها بلطف:

- لماذا؟ ما حاجتك اليهم؟ أليست رفقتي كافية؟

- اوه بيرز، طبعاً لكن... يبدو البيت ساكناً هذا كل شيء.

هز بيرز كتفيه:

- لقد ذهبا الى بورت مافوير. أراد براندت أن يأخذك معه لكنك كنت نائمة، وقال إني انك ستحتجين الرحلة مضجرة في أي حال.

شعرت صوفي بالضعف وارتاحت:

- ابن بورت مافوير؟

- في الجهة الجنوبية من الجزيرة قرب حقول النفط.

لم يلبث فجأة وأمسك بيرز بمعصمها كي يستدعها:

- انك متوعكة فعلاً، ألست كذلك؟ تعالي، سنرتاح اليوم. سأطلب من فيوليت أن تجلب لنا بعض القهوة الى الشرفة.

ولكن صوفي تمالكت باصرار. من الواضح أنّ آدج لم يقل شيئاً بعد، ولكن الى متى يمكنه أن يتوقع استمرار هذه الظروف؟ كان عليها أن تفكر في طريقة واعية وعاقلة، وكلّما أسرعت في ارسال البرقية الى ايف وابلغتها بما حصل كان افضل لها. جلست صوفي مع بيرز وتناولت بعض قطع البسكويت وشربت فنجاناً من القهوة وبدأت تستعيد حيويتها. وفكرت أن الامور ما زالت كما كانت ظاهرياً. قال آدج انه علم بهويتها الحقيقية منذ البداية. لهذا فان وضعها في المنزل لم يكن أسوأ مما عليه سابقاً. علماً بأنه لم تستبعد أن ينفضح أمرها في أي لحظة...

واعتارت كيف علم آدج أنها لم تكن ايف منذ البداية. فكرت في الأمر ملياً، وكان السبب في عدم قدرتها على النوم الليلة السابقة جزئياً، وعاودها الشعور اليائس ثانية وهي تفكر بهذه الأمور. شربت بعضاً من قهوتها وتعمدت التفكير بأمور اخرى. ونظرت الى بيرز وقالت:

- اعتقد أنه يمكننا الذهاب الى بورتو لوف سيابن اليوم؟

- اعتقدتين أنها فكرة حسنة وأنت تشعرين بتوعك؟

تكلّفت صوفي الابتسام:

- اوه، أشعر أني على ما يرام الآن. اعتقد أني تعرضت لحرارة الشمس أكثر مما ينبغي يوم امس. هذا كل شيء.

بدا بيرز مشككاً:

- واذ يكن ماذا تريدين من بورت لوف سيابن؟ أستطيع أن ارسل جوزف.

تنهدت صوفي:

- لا، افضل أن أذهب بنفسي. ثم اني لم أر المكان جيداً فيه الكفاية. واعتقدت أنه يمكننا التجول قليلاً.

- وتريدين أن تتسوقي؟

- اريد ان ارسل برقية.

- برقة؟ رفع بيرز حاجبيه، الى شخص اعرفه؟
- كلا، الى صديق في الوطن برقية معايدة. تعلم هذه الامور.
قررت أن تعترف بأنها سترسل برقية لأنها ستحتاج اليه في الاهتداء الى المكان.
امى بيرز تناول قهوته ووضع الفنجان جانباً.
- اذن متى تودين الذهاب؟
- صباحة غداة.
- الآن؟
- سيكون ذلك رائعاً!
- حسناً واذا شعرت بنفسك متوعكة، تخبرينني؟
- أجل شكراً يا بيرز انك رائع!
- هل أنا حقاً رائع؟ اذن لماذا لا نتجاوز أبداً مرحلة امساك الايدي، نحن أقارب كما تعلمين.
أضحكها ما قاله بيرز.
- اعتقد أنه من الافضل أن احضر تقاريري.
ذهبا الى بورت أوف سبين وقاد بيرز السيارة مهارة وعندما فسّر لها أن والده علّمه قيادة السيارة على الراضي العائلة وهو في الثامنة من عمره فهمت صوتي سبب مهارته.
- هل... هل تذكر والدتك؟
سألته بتردد، غير قادرة أن تنسى أدب بصورة تامة.
نظر بيرز اليها نظرة جانبية.
- هل تعلمين أنها المرة الاولى التي تسألينني فيها عن والدتي؟
- لم أنبه في الواقع، ما وجدت أن ابدو دخيلة.
- ولم لا؟ فهي كانت عمتك.
- أجل، حسناً... لا علاقة لي بالامر، أليس كذلك؟
- اوه أجل. اني اذكرها. أعتقد اني كنت في السابعة من عمري عندما توفيت. لكنها لن تكون كل شيء في حياتي. أعتقد أن فيوليت كانت والدة لي اكثر منها.

- اذن انت عشت هنا دائماً؟
- لي بواتي سانت فينسنتي؟ أوه، أجل. اسمعي. كان والدي يحمل لحساب براندت وليت ضخم. ولم يكن براندت يحب ان يبقى وحيداً.
- كانت عمه روزا.
- أجل، لكنك تعرفت الى روزا. انها لا تعيش معنا معظم الوقت، وبالتأكيد لاحظت ذلك.
أومأت صوني برأسها:
- اعتقد... اعتقد أن والدتك تضايق جداً عندما توفيت.
بدا بيرز مفكراً:
- اعتقد أنه كان كذلك الى حدٍّ ما.
وقطبت صوني حاجبيها:
- ماذا تعني؟
- في الواقع لم تكن أبي مثله. لا أعلم بالفعل لماذا تزوجها، ثم انجبه وتابع، أجل، أعلم. اعترته أنها حامل وفعل ما أملاه عليه ضميره!
- اوه! استدارت صوني في مقعدها وقلبها يخفق بقوة، لكن أعتقد أنه كان سعيداً بولادتك؟
- نوعاً ما. لكنني ولدت بعد سنة من زواجهما لذا لم تكن الامور بينهما على ما يرام.
همست صوني:
- تعني...
- نعم أقدم حيلة وقع فيها. ماذا كان في وسعه أن يفعل. عائلة سانت فينسنتي عائلة مرموقة ووالدها مبدأ في مسائل الشرف. كان من غير المعقول أن ينكر أبي مسؤوليته وان ساوره شك في عدم صحتها.
هزّت صوني رأسها:
- يا له من أمر فظيع!
- نعم ألم يكن هكذا؟ ولكن هكذا هي الحياة، كما يقولون.
لم تستطع صوني أن تخلف عند هذا الحد من الحديث:
- ولكن بعد ولادتك، بالتأكيد تغيّرت الامور؟

- ليس فعلا. أرادت والدتي أن تتزوج. وعندما أصبح عليها تحمل مسؤولية الزوج والعائلة اطرحت في فراشها.

- لا يمكن أن تكون جدتك. من أخبرك كل هذا؟

- لو تعتقدين أن والدتي أخبرتني القصة كما يرغب وجعلني أحقد والدتي؟ لم يكن في حاجة الى اخباري يا ايف. كنت موجوداً. رأيت الامر يحدث.

- ولكن لا يمكنك. كنت صغيراً جداً.

- في البداية، نعم.

لا أعتقد أنها تأثرت بعد أن والدتي. على الأقل ظاهرياً. بذلك. وكما ترين، فوالدتك توفيت عند ولادتك وأعتقد أن كلا من والدتي ووالدتك كتب لها أن يكون رد فعلها مماثلا في كل الاحوال. لا أعتقد أنها كانت زوجة عطية لوالدي. بالطبع أصبت بالسرطان. قد أبدو قاسياً. لكن لست هكذا فعلاً. الامر لا يعدو أنها لم تكن أماً حقيقية لي أيضاً. فانا ما ذهبت اليها بقدمي الدامية أو رأسي المجروح كانت تتظاهر بالعصبية وتعتدت أن أذهب الى فيوليت التي كانت تطعمني. الناس يعتقدون أن روابط الدم هي كل شيء. أنا لا أعتقد ذلك. يمكن للناس أن يكونوا دمهم من نوع واحد ويكرهون بعضهم بعضاً. فيوليت كانت أمي وهذا كل معنى الامومة أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك.

كان مكتب الظرافة يغلق في ساعة الاستقلال التي سميت هكذا بعد الاستقلال في عام ١٩٦٢، كما أخبرها بيرز. وهناك عدد من الحفلات والساعات الخمينة تتشوق الى السباح. لكن أمراً واحداً كان يشغل بال صوفي تلك اللحظة. لحسن حظها واتى بيرز على انتظارها في الخارج بينما دخلت هي وكتبت رسالتها الى ايف. بدت الرسالة طويلة جداً عندما انتهت من كتابتها. لكنها أرادت أن تعلم صديقتها بالورطة التي أوقعتها فيها. كان عليها أيضاً أن تبلغها ان عائلها علم بهويتها الحقيقية. وبعد ان دفعت رسم البراية للموظف وخرجت، وجدت بيرز يرفس بقدمه بنفاد صبر

- يحق السماء ما هي رسائل العابدات هذه؟ هل تدركون ان انتظرتك هنا منذ قرابة نصف ساعة؟

- اني آسفة يا بيرز ولكنك تعلم كيف تسير الامور. أنا غير معتادة على ارسال برقيات.

حدق بيرز فيها بذهاء:

- حقاً؟ واعتقد انك لم تذكري شيئاً عن ذلك هنا لفترة اسبوعين آخرين، هل انا مخطىء؟

عبست صوفي.

- انا! قد أكون نسيت أن أقول لك ذلك.

لوما بيرز برأسه.

- اعتقدت ذلك. صديقك هذا الذي كتبت له انه رجل. أليس كذلك؟

فغرت صوفي فاها مستنكرة سؤاله وعبست ثانية. على الأقل انا علم الجميع انها أرسلت برقية لن يرتاب لدى شيء انا الحبيبة بيرز أنها موجهة الى رجل. فهزت كتفيها وقالت ببط:

- لدي أصدقاء من الجنسين ولا أجد أن الامر يهم في كلا الحالين.

بدا الخجل على وجه بيرز:

- اعتقد أنك محقة. مللت من الانتظار، هذا كل ما في الامر. تعالي. سنذهب لتغدى ثم اطوف بك في المدينة قليلاً.

تكتمت صوفي من نسيان همومها ذلك اليوم وقررت ألا تعيش عذاب الترقب لأنها لن تستطيع فعل شيء لتغيير مجرى الاحداث. وبدلاً من ذلك التفتت بالتنزه مع بيرز في واحدة من أجمل مدن العالم. لكن ما ان عادا الى السيارة حتى شعرت صوفي بموجة عارمة من الندم. كاد النهار ينتهي وعليها الآن أن تجوه ونواجه أي طارىء يمكن أن يحصل.

وصلا الى سانت فينسنتي قرابة الساعة السادسة مساء ورأت صوفي أن آدج ورانديت قد عادا أيضاً. كانت سيارة ادج متوقفة في باحة المنزل ونوافذها مفتوحة. عطّى بيرز:

- لقد عاد والدي. تعالي! ربما وصلنا في الوقت المناسب لشرب الشاي،

أنا بالتأكيد أحتاج الى ذلك.

تبعته صوفي بنظرة عطرة. لخوفت من اللحظة التي ستضطر فيها لمقابلة أدوج ثانية ورؤية المكر القاسي في عينيه. لخوفت من رؤية الاحتقار يملأ وجهه. ولتمنت لو أنها لم تذكره مساء امس. ولو لم يحصل ما حصل...

دخلا القاعة. واجتاحتهما برودتها بعد الحرارة في الخارج، وملأت الجو رائحة الورود الموضوعة في مزهرية كبيرة على قاعدة طويلة. توقفت صوفي معجبة بالورود. لعملت أي شيء لتؤخر لحظة مواجهته المقبلة. كانت منحنية على باقة الورود عندما جاء أدوج. لم يكن وحده. بل هناك فتاة تتبعه وللحظة ظنت صوفي أنها جالين فنظرت بعيداً. لكنه تكلم وجعلتها كلماته تجمد في مكانها.

- آه، لقد عدت. الى سعيد يا ايف فهناك زائر من تكلترا. أليس الأمر مدعشاً؟ الانسة صوفي سلاتر!

جذبت صوفي أنها ستغيب عن الوعي حيث كانت تقف. شعرت بارتجاف في ساقيها وخشيت حينها اغشاوة. لكن تلاشت منها وأمسكت ذراعها بقفاز صبر فاتحة:

- لا تذكري لي هذا الحد يا عزيزتي! أعلم أنها مفاجأة، لكنك تعلمين كم أحب المفاجآت!

٨ - الحقيقة كالكابوس!

جلست صوفي على كرسي في الحمام وراقبت ايف وهي تستحم وتستخدم كل ما وضع بتصرف صوفي فقط. ملأت ايف حوض الحمام بفقاقيع الصابون واسترخت بكسل، غير آبهة لتعبير القلق المرتسم على وجه صديقتها. وقالت لها بهدوء:

- يا عزيزتي، الأمر الذي لا تفهمينه هو ان أدوج لا يستطيع ان يفضحك الآن.

- لماذا؟

- يا عزيزتي، لو كان ينوي ان يفعل ذلك لكان في امكانه ان يفعله قبل اسبوعين، الا ترين؟ لقد جعل نفسه متواطئاً في القضية.

- تجعلين الأمر يبدو بسيطاً جداً!

- في الواقع انه بسيط، ليس كذلك. انه وضع غريب، الا تعتقدين، انت تحللين شخصيتي، وانا شخصيتك.

- انه وضع سخيف! ايف، عليك ان تخرجي من هذه الورطة. احضري جدك من انك وسأعود الى الوطن.

- كلا!

- لم لا؟

- سيكون مثل هذا التصرف غبياً الآن. من الواضح انه يكن لك بعض عاطفة ليدو في كلامه عنك. ستكون الحقيقة بالنسبة اليه امراً قاسياً

استدارت صوفي نحوها بغضب:

- تعنين... ان يكون الأمر مناسباً؟

ضاقت عينا ايف:

- ما الذي قلته؟

- سمعت ما قلت هناك اكثر من مجرد لهدنة خواطر رجل مسن. ارسلني الى هذا المكان بهدف محدد لكنك لم تخبريني به!

بهتت ايف وتلوثت منشفة بيضاء:

- صوفي، لا تغضبي لأي سبب! تصورتك دائماً عادلة وعاقلة. فجأة يبدو لي ان اخلاقك قد تبدلت. واني النادم عن السبب؟

- اوه لا تكوني سمجة يا ايف! انظري، لقد فعلت ما اردت، جئت الى هذا المكان. الا تعتقدين انه يحق لي ان اعلم لماذا؟

- ربما. ربما لا. هل يمكنك احضاري بعض الثياب. النظيفة يا عزيزتي؟ الخواصي ما زالت في الفندق. الى ان يحضر جوزف حقيبتي.

شدت صوفي قبضتها:

- لا يمكنك البقاء هنا؟

- لم لا؟ انه افضل من البقاء في فندق.

- لكن آدم يعلم... القصد لا بد ان يدرك من انت.

- وان يكن؟ ان الأمر يضفي شيئاً من التشويق على الوضع، الا تعتقدين؟

تابدت صوفي:

- لكن ماذا عن جون فيلوز؟ اعتقدت انك تعملين في الشرق الأوسط الآن.

خلعت ايف الشقة عنها وسألتها:

- اين الثياب يا عزيزتي؟ لا استطيع ان اقف هكذا الى الأبد.

تأففت صوفي لكنب استدارت وذهبت الى غرفة نومها وفتشت في ادراجها واحضرت ما طلبته منها ايف. ثم قالت لها وهي ترتدي ثيابها:

- الشرق الأوسط يا ايف؟ ماذا حدث لتلك الرحلة التي ستنطلق من المجر؟ الى هنا؟

ارتدت ايف توبها الأزرق الذي ازالته ساعة انت ثم ابتسامت قائلة:

- لم يكن هناك من رحلة الى الشرق الأوسط يا صوفي، ولكنها ستحصل... لمساعدتك.

- ماذا تعنين؟

- اوه يا صوفي، هل يجب ان اقسم فوراً؟ الا تستطيع ان تجلسي وتدخني سيكارة وتتحدثي عما فعلته انت هنا؟ هذا قضية حياتي انظني استمتعت بإقامتك هنا. اليس كذلك؟ ويبدو يبدو رائعاً.

عادت صوفي الى الحمام لتفرغ الحوض وجاءت ايف ووقفت باسترخاء عند الباب المفتوح.

- لا تكوني هكذا يا عزيزتي. الا تستطيع ان تتحدث بمودة؟

ووقفت صوفي مكانها:

- كيف يمكنك ان تقفي هنا وتتوقعي مني ان اوافق على تصرفاتك؟ اعتقد انك تصرفت بصورة مقيتة، اذا اردت ان تعرفي حقيقة شعوري.

هزت ايف كتفيها وقالت بجفاف:

- لقد وافقت على المجيء يا صوفي.

- اعلم ذلك وندمت على فعلي منذ ذلك الحين.

واتجهت صوفي الى غرفة النوم واضافت:

- انا لا اصلح للمؤامرات يا ايف. اذا لم تخبريني عما في الأمر فوراً، سأرحل واخبر برانت كل شيء! هل تفهمين؟ كل شيء!

نظرت ايف اليها بتمعن:

- لا اصدقك يا عزيزي لكن اذا اصريت . . .
- اني مصرة.
- حسناً والآن، من اين لنبدأ؟
- من البداية.
- فيه نعم. اي منذ ولادة والدي. حسناً، كيا تعلمين كتبت الى جدي آنئذ وابلغته الامر وكيا تعلمين كان معطوفاً جداً. تبادلنا الرسائل، واقترح هو ان اتي الى تريبداد وارتحت للأمر.
- نادا؟
- اكره ان اعترف بالأمر لكني احب جون فيلوز.
- تحبين جون فيلوز؟
- نعم، لم اعتقد يوماً ان اي رجل يمكن ان يثير اهتمامي الى هذا الحد لكني احب جون.
- اذن، اين المشكلة.
رددت ايف عليها:
- لمجرد اني قلت بانني احب جون فيلوز فهذا لا يعني انه يبادلني الشعور. على العكس، اشك في ما اذا كان يشعر حتى بوجودي.
نظرت صوفي اليها باستغراب ذكي:
- ياه يا ايف، انت لست من نوع النساء اللواتي يدعين من دون ان يلاحظهن احد لمدة طويلة.
- شكراً لك يا صوفي، وابتسمت ايف ابتسامة صغيرة غامضة، سأعتبر كلامك بداية اطراء لي. لكن، على رغم ما تقولينه لم يصل جون فيلوز الى حيث هو اليوم من دون ان يتبه لنفرص التي اتاحت له ذلك فهو يعلم اين يريد ان يكون ويصل الى ما يريد. ان الصحافة مثيرة لكن من الممكن ان تكون خطرة جداً عندما يقوم الصحافي بمهمات ما وراء البحار. وهو يعلم اين يكمن المال في الصحافة والتلفزيون، وكيف يصبح المرء شخصية مهمة ويشتهر اسمه فوراً، ولهذا يريد ان ينجز السلسلة الوثائقية تلك.
- تحزين ان فكرة تعلقه الى الشرق الأوسط كانت فكرتك الخاصة؟
- بل ضرورية، على الأقل من وجهة نظر جون. الا ترين، اذا استطعت

تأمين المال فسوف يأتمنني معه!
- اوه، يا ايف لست جادة في ما تقولينه!
- لم لا؟
- الآن . . . حتى لو كان الأمر صحيحاً، وكان فيلوز يحتاج الى المال واستطعت انت تأمين ذلك له، فهذا لا يعني بالضرورة انه سيهتم بك! بحق السماء، اعتقد ان العكس قد يحصل. قد يصبح مشهوراً، ويرد لك ما استدانه منك، ثم يتخل عنك!
زمت ايف شفتيها بضيق:
- في الواقع، عظنك السادج يستنتج هذا ليس كذلك؟ لا تتصوري انني سأعطيه النقود من دون اي ضمانات. انت بالهاء كيا تعلمين.
هزت صوفي رأسها:
- وهذا كل ما في الأمر؟ فرصة لسلب رجل عجوز بضعة آلاف من الجنيهات؟
نظرت ايف اليها بتعب:
- اني لا اسلب احداً. انه حقي. اني قريبة امي الوحيدة. ويحق لي نصف الممتلكات هنا!
شهقت صوفي:
- انت نسيت ان امك تخلت عن كل شيء عندما تزوجت والدك. وحسب ما اعرف فالعصبي هو الذي يرث كل شيء.
- تعنين أنح؟ ولعنت عيا ايف، اخبريني، كيف اخبرك انه كان يعلم من انت؟
وبدت صوفي الآن غير مرتاحة:
- هل يهم؟ اخبري وهذا يكفي.
- هل يكفي؟
امعنت ايف النظر فيها ولاحظت امتقاع وجهها الفاجيء:
- آه ايجل. بدأت افهم. انه طبق شهي، أليس كذلك؟ الخال آدج. وما دام يفكر انه خالك فليس هناك من مجال . . .
- لم يكن في الأمر شيء من هذا! لقد اخترتك. انه علم منذ البداية.

- كيف؟

- لست ادري، واستدارت صوفي بعيداً. ارجوك يا ايف، توقفي عن محاولة القاء اللوم علي.

- انا لا اتهمك. كنت فعلت الشيء ذاته لو ان مكانك. اخبريني كيف هو؟ اعني تاج.

شهقت صوفي. ونظرت اليها قائلة:

- من العار عليك ان تقولي مثل هذا الكلام!

- ماذا؟ اوه يا صوفي انك شفافة كالماء. من الواضح انه يثيرك. ولكن هل تحبه هو ايضاً؟

- ايف، ارجوك! انا لا ابحث في ادراري. انا ابحث عن موضوعات انت... ووضعك هنا. اسمعي، يمكنك ان تخبريهم ما يحلو لك. يمكنك ان تدعي انك جئت لمهمة عاجلة من الجريدة... اي شيء. ما دام يمكنني العودة.

- ابداً.

- ولكن لماذا يا ايف؟ كنت صبورة جداً. وقد كذبت علي. تظاهرت بأن عليك ان تعلمي انك تعملين في جريدة. تظاهرت بانه رجل سن وعي وبك ان تحبيه. ارسلني الى هنا من دون ان ادرك الاسباب الحقيقية لذلك. كيف تتوقعين ان تبقيني هنا الآن؟

وقفت ايف:

- انا ذاهبة الآن سيتحطم كل شيء. الا تستطيعين ادراك ذلك؟ لن يستغني جدي ابداً ان علم اني ارسلتك لتحلي محلي.

- وهل تعتقدين فعلاً بأن تاج سيسمح له بان يعطيك المال وهو يعلم انك اتيت هنا بنفسك؟

- قد يقبل. انا كانت الشروط ثلاثة.

- اي شروط؟

- حسناً. هناك قطبة عدم فضحك كمحتالة منذ البداية. اتعتقدين ان هذا الأمر اهمية شخصية؟

- عم تتكلمين؟

- اني اتكلم عنك وآدج. اتعتقدين انه يستهويك؟

حبست صوفي انفاسها:

- لا؟ لا. طبعاً لا.

- انه احتمال.

- لا اظنك تعتقدين ان آدج لم يخبر والده من اكون، لأنه وجدني جذابة! يا ايف، لا تكوني سخيفة الى هذا الحد!

- اين السخف في ما قوله؟ ما السبب اذن في عدم كشف هويتك؟

- هو - لم يعطني اي سبب.

- هكذا اذن.

- اوه، يا ايف! فقط لو تعلمين كم انت غلطة في ما خص آدج. الا استهويه. انه يكره ان يرتبط. قد اخبرني بذلك.

- حقاً.

بدت ايف محتارة. ثم تابعت:

- اغرب، واغرب. في الواقع لا بد ان يكون لديه سبب ما لعدم كشف هويتك، وعلينا معرفته واستخدامه لمصلحتنا.

عزت صوفي رأسها بقوة:

- يمكنك ان تفعلي ما يحلو لك يا ايف بشرط علم اتحادي في الموضوع!

- لماذا؟ اتريدين ان يعلم جدي الحقيقة من دون تحضير؟ ماذا تظنين سيكون رد فعله؟ سوف يصدم.

تحركت صوفي بعصبية:

- لا بد ان يعرف عاجلاً ام آجلاً.

- حقاً؟ لم لا تشجع غلطتنا الأساسية؟

- غلطتك انت!

- حسناً غلطتي انا. لو توقفين فقط عن التصرف بهذه الطريقة لوجدت ان لا شيء تغير. يمكن ان يسير كل شيء كالسابق ولكني الآن سوف اساعدك.

- لا. لا. لن افعل ذلك.

- ماذا ستفعلين اذن؟ تكشفين نفسك؟ وانا لا اتوقع ان تفعل ذلك

واعتقد ان آدج لن يفعل ابداً لسبب ما.

اعلنت صوفي نصراً في الغرفة:

- يا الهي. ما هذا الوضع! ثم خطرت ببالها فكرة، لكن اذا كنت لا ترغبين السفر مع جون فيلوز، لماذا ارسلتني الى هنا؟ ولماذا انت هنا الآن؟

- كما اخبرتك يا عزيزتي. لم اشتم فكرة لعب دور الفتاة المخلوعة. حتى الآن لا ارغب في ذلك. انت القرب الى طراز الخطيبة التي يتوقعها جدي.

- انت لا تهتمين اية تفاصيل، اليس كذلك؟ كيف استرين على تحريك الناس كي يخدموا اغراضك ويتوقعين ان لا تتضرري؟

- اوه حقاً يا صوفي، لا تكوني طفلة! ما الامر الوحيد الذي افترفته، في اي حال، لقد اسعدت جدي كثيراً. اكثر مما كنت استطيعه انا بالتأكيد.

- وتعتقدين ان هذا عذر مقبول؟ جعلت جدك سعيداً لسبب التباسك! هناك امور اخرى يجب ان تأخذيها في الاعتبار يا ايف.

- كان في امكاني ان اعلم ان ضميرك البورجوازي سيبدأ بازعاجك.

- يبدأ؟ لم يتوقف ابداً عن ازعاجي؟

- لتعيين ذلك لم تنتمي في الاقامة هنا؟ اي ذلك لم تنتمي عدم العودة الى الوطن؟

كان على صوفي ان تكون صادقة:

- كلا، انا لم اقل ذلك.

ولكن فجأة، قبل ان تستطيع ايف الاجابة، سمعنا طرقاً قوياً على الباب خارج غرفة نوم صوفي، واستدارت الفتاتان تحدقان في الباب من دون فهم. وطرق قلب صوفي بقوة، لكنها تحركت لتفتحه ثم تراجعت مرتبكة عندما دخلت الخادمة فيوليت الى الغرفة.

- اني آسفة يا آنسة ايف، خاطبت صوفي بلهجة اعتذارية، ولكنني امسكت بتلك الفتاة لبرا تتسلل على بابك.

استدارت صوفي نفسها الى مقبض الباب:

- لبرا؟!

- نعم. ارسلتها الى هنا قبل عشر دقائق لتخبر صديقتك الآنسة سلاتر ان غرفتها جاهزة وتنتظرها. وطبعاً عندما لم تعد، اتيت لأرى ما الذي يحدث فرأيتها واقفة خلف الباب تتنصت!

تركت صوفي الباب وجلست بضعف على السرير.

- فهمت... فهمت.

نظرت ناحية ايف فتحركت الفتاة بسرعة الى الأمام وهتفت:

- كوني الثابتة من انها ستعاقب بقسوة، وتحبست صوفي من برودة لهجة ايف، لا يمكن للمرء ان يسمح لمثل هذه الامور بأن تحصل. هل حصل مثل هذا الأمر قبلاً؟

استجابت فيولت فوراً للهجة الآمرة في صوت ايف.

- ليس على حد علمي يا آنسة سلاتر. ولكن لا تقلقي. سوف اخبر السيد برانت عنها. انها فتاة وقحة وربما كان من الافضل ان تبحث عن عمل في مكان آخر.

تنفست ايف بسهولة اكثر:

- اعتقد انها فكرة ممتازة يا فيولت، واضافت، ففي اي حال، يجب ان تفكري براحة ضيوفك، اليس كذلك؟ وهذا ينعكس عليك.

لوحات فيولت برأسها قائلة:

- اتركي الأمر لي يا آنسة.

- حسناً.

انحنت ايف والتقطت حقيبتها ونظرت نحو صوفي نظرة ثانية، ثم خاطبت فيولت:

- والآن خذيني الى غرفتي، فأنا متعبة. هل تعتقدين ان في امكاني تناول عشائي في غرفتي هذه الأمسية؟ انا متأكدة ان الآنسة ايف يمكنها ان تتغاضى عني.

خرجت ايف قبل ان يكون لدى صوفي الوقت الكافي لتعترض وسمعت فيولت تؤكد لايف ان المسألة سهلة. ولكن ما ان اغلق الباب خلفهما حتى دفنت صوفي رأسها بين ذراعيها، وارتجفت لا ارادياً. لا بأس ان تصرفت ايف بمثل هذا الغرور. لكنها لم تفهم هنا ولم تكن تعرف هؤلاء الناس.

اخرت صوفي موعد نزولها الى العشاء حتى اللحظة الاخيرة، وظهرت في

اللحظة التي جاءت فيها الخادمة لتخبر براندت ان العشاء جاهز. كان جميع افراد العائلة يتناولون العشاء في المنزل هذه الأمسية. وبدا براندت متضايقاً بعض الشيء عندما التفت صوني الى صديقتها متعة وأن تتناول طعام العشاء معهم وسألها عاماً:

- هل هي مريضة؟ بدت متعافية ساعة وصلت.

هزت صوني رأسها نفياً، متجنبة نظرة آدج المتهكمة:

- لا. انها ليست مريضة، فقط متعبة. تعلم كيف هي الأمور كالسفر من انكلترا وما اليه.

- أوه لكنها اخبرتنا انها هنا منذ بضعة أيام وانها قررت ان تبحث عنك بصورة عرضية. حتى آدج فكر وهم يجلسون الى مائدة العشاء.

تخشب وجه صوني:

- أوه، حقاً، اعتقد انها تحولت كثيراً في الجزيرة قبل ان تأتي الى هنا.

حدق براندت في ابنه:

- لا اذكر ان الآنسة سلاتر ذكرت موعد وصولها الى تريندادا.

هز آدج كتفيه:

- ألم تذكر؟ ربما اخطأت.

التفت صوني نظرة خاصة لجاي:

- اخمن بعض الشيء احياناً.

- نعم، انا بعض الشيء. أليس كذلك؟ قال بنبرة قاسية، ولكن البعض يخطيء اكثر من البعض الآخر.

قطب براندت حاجبيه في وجه ابنه وقال لصوني بلطف:

- لا تكترثي لما يقوله آدج يا عزيزتي. اخشى ان يكون مزاجه سيئاً اليوم.

- لست في حاجة للاعتذار عني يا براندت!

- فعلاً؟

ونظر براندت في وجه صوني القلق:

- اخشى ان مهارتي في بورت مانيور لم يكن ناجحاً تماماً. اصيب احد نائب الضبع بخطل في منطقة اوغوستينا وانضى آدج معظم الوقت يزحف

فوق الآلات. كما ان عجلة السيارة ثقبت في طريق العودة. من حسن حظك انك لم تكوني معنا يا ايف. فلم اود لك سماع ما تلفظ به من كلمات.

استطاعت صوني ان تبتسم:

- اخشى ببرز لن يورت أوف سبين.

- نعم، هذا ما سمعته. نظر براندت الى حفيده، انك هادىء جداً هذا المساء. ما الخطب؟

- ماذا؟ أوه كنت افكر، هذا كل شيء.

نظرت صوني نحوه بسرعة. هل علم ببرز بالأمر؟ هل قرر آدج كشف هوية صوني الحقيقية لابنه بعد ان جاءت ايف؟ فأيف هي قريبة ببرز وابنة اخت آدج

التقط ببرز نظراتها الخاطفة وابتسم لها وسألها:

- كيف تشعرين الآن؟

ثم خاطب الجميع:

- كانت ايف متوعكة بعض الشيء هذا الصباح. لم اعرف ذهابها للتنزه لكنها اصرت.

سألها براندت باهتمام:

- عما شعرت؟، طبعاً، قلت انك مصابة بصداع مساء امس عندما اقترحت عليك الذهاب مع آدج وجاين.

- لم يكن صداعاً مؤلماً، اعتقد انني تعرضت لأشعة الشمس اكثر مما ينبغي.

- هذا قد يكون خطراً وعليك ان تكوني اكثر حرصاً. لا تريدك ان ترضي فالخلفي عن حضور الكرنفال الاسبوع المقبل.

- هل حان موعد الكرنفال؟

سألت روزا وهزت رأسها ببعض التعجب.

- كيف لم تسمعوا!

اشعر كأن والدتك كانت تحضر نفسها للكرنفال يوم امس.

- نعم، لكن هذا كله من الماضي.

علق براندت بتشاف. بدت روزا كأنها لم تسمعه او تايمت حديثها:

- ذلك كان الوقت الذي هربت فيه واقدتك. او تعلمين، وقت الكرخانا، لم يفتقدها احد. لساعات طويلة.

- كفى يا روزا!

كان صوت براندت قاسياً وبدا كأنه ايقظ احد من احلامها. فنظرت اليه في صمت مؤلم وصمت الجميع لفترة.

عندما انتهت وجبة الطعام، كانت صوفي ايم بالصعود الى غرفتها عندما اعترضها آدم:

- اود التحدث معك يا ايف!

خاطبها بيرود وهما يغادران الطاولة:

- سنذهب في نزهة في سيارتي.

نظرت صوفي اليه بتمرد:

- افضل الا اذهب. شكراً لك.

- لكنك ستفعلين.

همست كي لا يسمعها احد غيره:

- لا تستطيع ان ترغمني.

- أوتظنين ذلك؟

كان صوته هامساً وشعرت بالعنف الذي يكتنفه. واقترب براندت منهما:

- ما الذي يجري؟ ما الذي تقوله لايف الآن يا آدم؟ الا تستطيع ان ترى كم هي متعبة؟ دعها وشأنها!

وضع آدم يديه في جيبي سرواله، واجابه بيرود:

- كنت فقط اقترح عليها استنشاق بعض هواء الليل البارد فهذا سيخفف من صداعها.

- صداعها؟ مرة اخرى يا ايف؟ يا للحظ التعيس.

هزت صوفي ذراعيها في حركة دفاعية وقالت بارتباك:

- افضل ان اعتذر الى النوم، شكراً لك في اي حال.

- ولكن ذهابك الى النوم ليلة امس لم يشفك، اليس كذلك؟

- ماذا تقصد؟

وللحظة مرجعة ملت صوفي انه ينوي فضحها. ولكن بدا واضحاً ان آدم كان يفكر بسبل اخرى لمعذبتها. لكنه اجابها بلطف:

- حسناً، تشكين من الصداع وورعا هواء الليل سيكون النجع من النوم.

اومأ براندت برأسه موافقاً:

- ما دمت لا تتشاجر معها طوال الوقت يا آدم فلا بأس. خذها الى الجبال فاقواء ابرد هناك.

لم يكن في وسعها الا ان توافق. احضرت صوفي شالاً ووضعته على كتفيها ثم رافقت آدم الى السيارة. وذهبا نحو الجبال فعلاً كما اقترح براندت عليهما. في ظروف مغايرة، كانت صوفي قد امضت جداً في النزهة. فضوء القمر الفضي لوناً فضياً على البحر الذي قبع مئات الامتار دونهما، وغطت الاشجار الطريق المنكوبة التي سلكاها. كان الطقس اشد برودة هنا وارتعدت بتأثير الريح الشتوب بالخوف. بقي آدم صامتاً في الطريق وكان يركز على قيادة السيارة عبر المسالك الضيقة، ويسارعني وراء المقود. اخيراً وصلا الى هضبة صغيرة تطل على منظر جميل وكان ضوء القمر يعكس نوره على المزيد من المناظر حولها. اطفأ آدم محرك السيارة وفتح بابه وخرج وسار بكسل نحو صور حجري واسند ذراعه اليه. رأت صوفي شعلة قد اخمدته وهو يشعل سيكارة ويقبت مكانها، متجمدة وعصبية، غير قادرة على تفسير سبب مجيئه بها الى هذا المكان. كان الصمت مثيراً للاعصاب وادت لو عاد الى السيارة واخبرها بما اراد قوله لها. كان من غير المجدي التظاهر بان ما حدث بينهما ليلة امس لا يعدو اكثر من مجرد ازعاج له، ومهما حدث يجب الا تدعه يرى كم يستطيع ايذاءها بسهولة.

واخيراً عاد نحو السيارة وانسل في مقعده قربها باسترخاء طبيعي. ثم اضاء نور السيارة الداخلي وتمعن في ملامحها الشاحبة وسألها:

- حسناً؟ متى ستغادر؟

- متى تغادر؟ لم افهم!

- فهمت جيداً. متى ترحل عن الريحل؟

اطبقت صوفي يداً على يد باسكام:

- انا لا اعلم. ولا استطيع اجبارها على المغادرة.

- طبعاً! صاح آدم بغضب، التوقعين مني فعلاً ان اتحمل وجود تلك المخلوقة في منزلي يوماً اخر؟

- انت... انت تعلم من تكون؟

- عليك اللعنة، طبعاً اعلم! انها امة جيمس هوليبستر! بكل ما للكلمة من معنى!

- لماذا... ماذا تقصد؟

زفر آدم بغضب:

- كان جيمس هوليبستر مغامراً. بلا اخلاق. تزوج اختي على امل ان يضع يديه على ما تخبئه ثروة كبيرة. ولسوء الحظ ظن انه يستطيع ذلك من دون الرجوع الى والدي، وعندما انعزلت جينيفر عن العائلة ولم يكن معها فلس واحد، اصيب بأكبر صدمة في حياته العملية.

شهقت صوتي:

- لا اصدقك!

- ليس عليك ان تصدقيني. الأمر سيان لدي. ولكن، هذه هي الحقيقة.

صمت صوتي للحظة، ثم بدأت تقول:

- جيمس هوليبستر احب جينيفر.

- احب مافا، اوما ظن انه سيتزوج البها؟ يا الهي لا اظنك تعتقدين انني اتكلم من دون البات. عندما اكتشفت جينيفر الحقيقة، اصيبت بخيبة امل فظيعة وكنت اني لخبرني كم هو خسيس. ومالت عندما ولدت ايف، لكنني اعتقد انها فقدت رغبة الحياة!

- اوه... لا يمكنك ان تعني ما تقول.

- بل اعني ما اقول.

- اذن لماذا لم تتصل عنه، ولم تعد الى المنزل؟

اطلق آدم سبكارته بعصبية في المنفضة:

- لأن ابي لم يسمح لها. ماذا تعتقدين كان سبب كل المشكلة؟ الا تدركين ان شعور ابي العطوف تجاهك... للشخص الذي يخبئه انه ثابت

ينبع من شعوره بالذنب تجاه جينيفر؟ جينيفر ادركت مخاطر عملها لكن كلاهما لام الاخر، اختارت ان تتجاهل التحذير وانت ترين ما حدث! ربما لو لم تمت لحظة ولادة ايف لحدث صلح ما، ولكن هذا لم يحدث، على رغم كل شيء، فان والدي يستطيع عادة التمييز بين الاشخاص. عرف من هو جيمس هوليبستر منذ البداية، ولكن جينيفر لم تقتنع.

- اوه، يا الهي!

- انت تصدقين، اليس كذلك؟

- الهي لو لم افعل.

- لماذا؟ لان الأمر يجعل موقفك اسوأ؟

- لا! لا... انت لن تصدق ما قوله، ولكني لم ارغب في المجيء الى هنا.

- اوه، فعلاً؟

- نعم، والهي لو اني لم افعل.

- اذن لماذا اتيت؟

- هل تصدقني اذا قلت لك.

- اشك في ذلك...

- اذن...

- لكن، افهم لماذا ارسلتك ايف الى هنا.

اتسعت عينا صوتي:

- لماذا؟

نظر آدم الى اصابعه على مقود السيارة وقال:

- لأسباب واضحة. علمت انك القناة التي سيحبها والدي. ناصعة تبيض ثروة، بعكس ايف القاسية.

احنت صوتي رأسها، لم تستطع ان تقبل كلياً ما قاله عن ايف. كانت لطيفة معها في الماضي، وساعدتها في الحصول على عمل في ساندتشيرش. اذا خالجت برد جميل فهذا لا يعني انها سيئة الى ذلك الحد.

- اذن ما الذي سيحدث الآن؟ نظرت اليه مستفسرة، ستغادر، على ما اظن!

- هل ستغادر؟

صحح أدج ما قالته بتجهم

- لا استطيع البقاء هنا...

- لم لا؟

هزت صوفي رأسها يائس:

- ليس هناك سبب...

- فعلاً؟ وماذا عن إي؟

تحركت صوفي مكانها بارتباك:

- انا تعبت ايف... علي ان اذهب انا ايضاً.

- لماذا؟ الا تريد ستوفع ذلك منك؟ لأن حقنتها الصغيرة لم تنجح؟

- اي حقنة؟

- لا تتظاهري بأنك لا تعلمين. واقفت ايف على المجيء فقط لأن الجميع يملأها.

شدت ايف خصلة من شعرها:

- هل يجب ان نتابع هذا الحديث؟ من الواضح انك تعلم كل شيء. الا يمكننا ترك الأمور على ما هي عليه؟ سأعبر ايف انه لا جدوى...

- لا.

قال لها ادج بلهجة آمرة بارزة:

- ستغادر ايف وانت ستبقين.

- شهقت صوفي.

- ولكن لماذا؟

- لأنني لا أريد لوالدي ان يتضايق. لا بد انك تساءلت كيف سمحت لك بالبقاء هنا مع ان علمت انك عطلة. هناك اسباب عدة، واحدها يمسك، وهو انها: مع ان والدي يبدو في صحة ممتازة، الا انه مذ عامين وهو يعاني من مرض في القلب واصيب بذبحة طرحته مريضاً لشهور عدة. والآن تعالج بفضل الأدوية ومن شأن اي صدمة... في الواقع الأفضل تجنيبه مثل هذه الصدمة.

- لم اكن اعلم ذلك.

- كيف لك ان تعلمي؟ وكي اطمئنك اكثر فان ايف لم تكن تعلم ايضاً.

تنهدت صوفي تنهيدة ارتياح:

- وانت تريدني ان ابقى هنا والتظاهر بانني ايف الى حين موعد مغادرتي؟

- نعم. هل اسأل الكثير؟

لم يكن طلبه كثيراً لكنها شكت في ان ايف ستجري الأمر بالطريقة نفسها لو في انها ستغادر المكان من دون مشكلة ما. ثم سألته بارتياب:

- الا يمكنني ان اتظاهر بانني مضطرة للذهاب الى لندن للقيام بمهمة صحافية؟ عندها يمكنني ان اغادر انا وايف معاً.

انظرت اجابته في انقباض. سألت ذلك السؤال بعدما فكرت في انها قد تكون الطريقة الوحيدة لاقناع ايف بالمغادرة من دون ازعاج جدتها. وان من الأفضل لها ان تغادر وهي تدرك ان بقاءها سيؤلم مشاعرها نحو أدج.

لم تكن مهيأة لرد فعل أدج على اقتراحها. ضاقت عيناه وبان الغضب فيهما واستدار في مقعده وامسكها باحكام من كتفيها واصابعه تغرز فيهما وتلتم بغضب:

- ايتها الأنانية! اليس لديك الاخلاق الكافية كي تنبي ما بدأته؟

- انت لا تفهم...

- لا تقولي هذا! ما الخطب؟ هل انت خائفة من البقاء هنا. هل هذا ما في الأمر؟ هل تخافين من ان اتهز الفرصة لاستفيد من عرضك؟

- عرض؟ اي عرض؟

- هذا!

صاح فيها وشدها نحوه وعانقها:

- أدج! أدج لا تفعل هذا!

- هذا، واستمر... قائلاً، لم يكن ره فعلك ممثلاً ليلة امس...

حاولت صوفي ابعاده عنها لكن من دون جدوى ثم فكرت... بان أدج لا يعيها! الم يبين لها مدى احتقاره لها. هل تريد ان إحتقرها اكثر. ابعدته عنها ونظرت اليه وقالت:

- اعدني الى المنزل!

كان تعبير أدج محيراً لكنها اعتقدت انها رأت نظرة احتقار في عينيه.

تحرك واسند نفسه الى الباب. ثم بقي شبحاً. فقط نظر اليها. وتحركت صوني تحت وطأة نظره وكأنها عرية تحت ميكروسكوب. ثم استدار نحو مقوده السيارة ببطء واعطاها:

- يمكنك ان تخبري ايف بانها ان لم تغادر تريبيداد غداً مساء فسأجعل الشرطة تلقي القبض عليها جلسة شخصية مزيفة!

٩ ـ ضائعة وسط الجميع!

- انه يعني ما يقوله يا ايف، حتماً!

لكلمات صوني بأس، بينما ايف بقيت مستلقية في الفراش تدخن سيكارة، وبدت غير متأثرة بما كانت صوني تقوله. كان الوقت صباح اليوم التالي عندما جاءت صوني لتتحدث الى ايف بعد أن رفضت الاخيرة التحدث اليها في الليلة السابقة.

- يا عزيزتي، بدأت تزعجيني. ما لا تستطيعين فهمه ـ وان تتورط في هذه القضية الى العنق. ألا تفهمين ذلك؟ لا يستطيع أن يطردني كوان بفضحي! من دون أن يجازف الوضع ذاته الذي يتمنى أن يتجنبه!

- لا تقصدين... ايف لن تفعل.

- لن أفعل ماذا؟ أخبر جدتي أنك لست حفيدته في نهاية المطاف.

سأفعل اذا اضطررت.

- اوه، ايف!

- لكني لن افعل، قالت ايف وتنهدت، ألا ترين يا صوفي؟ لا يمكن لاديج أن يدع هذا يحصل. ليس الآن.

استدارت صوفي بعيداً بتعب.

- اذن ما الذي ستفعلينه؟

- سأتحدث مع اهالي المجرم، أجابت ايف بهدوء، وأقترح له مصالحه ومصالحي. اني متأكدة بأننا سنصل الى تسوية ما.

- ايف، هذا ابتزاز!

- لا تبالغي في كل شيء يا صوفي! سيتفهّم وضعي. لقد دهيني تصرف.

- لكني لا أريد أن اكون جزءاً من كل هذا.

- انت اخبرتني بنفسك أنه بتوقع منك أن تثقي. بعد اسبوعين ينتهي كل شيء.

- لست ادري!

وثنت صوفي أو أنّ ما هذا الثقة.

اغضى الصباح بصورة طبيعية. أراد بيرز ان يسبح ومع أن صوفي وافقت على الذهاب معه، إلا انها لم تسبح. فقد كان تفكيرها منهمكاً الى درجة لم تستطع معه ان تتمتع وتسترخي. وبعد أن سبح بيرز بعض الوقت، عاد وجلس بالقرب منها على الشاطئ. وسألها:

- ما الخطب؟ ليدين قاتلة.

- فعلاً؟ ولا أدري لماذا.

- انها صديقتك، هي السبب اليس كذلك؟ لقد ازعجتك.

شهقت صوفي:

- يا للسماء، لماذا تظن ذلك؟

هز بيرز كتفيه:

- لست ادري مجرّد حدس، على ما اعتقد. ظهرت بصورة غير متوقعة. واقامتها هنا، أعلم أنّ براندت أصرّ على استبقائها، لكن يبدو أنها قبلت

الاقامة هنا.

احنت صوفي رأسها:

- انك واهم.

- كلا، أنا لا اظن. ولديها فداحتك أيضاً.

نظرت صوفي اليه:

- فداحتي؟

- نعم. الفداحة التي تستعملها عليها الاحرف الاولى من اسمك.

- اوه. نعم.

بلعت صوفي ريقها بصعوبة:

- عندما أقدمت عن الدخين أعطيتها اياه.

- أوه!

بدا مشكلكاً ، وتذكرت صوفي كم بدا منهمكاً على العشاء في الليلة الماضية. وتساءلت اذا كان أديج قد اخبره، حقيقة الامور، لكن لم يكن هناك سبب لذلك. كان بيرز يثق في الامر في أي حال، وان لاسباب اخرى. آه كم تزداد الامور تعقيداً؟

في البيت لم تر ايف أو اديج، وارتدت صوفي ثيابها بسرعة لتناول الغداء مترقبة أن تعلم ما حدث. لكنّ أحداً لم يجبها عندما قرعت باب غرفة ايف فتحت الباب وأطلت برأسها. كانت الغرفة مهجورة. لم تكن ايف هناك. وربما تحمل الظن غير مصدقة في انحاء الغرفة انهت الى أن حقيبة ايف لم تكن موجودة ولا ملابسها. فتحت باب الغرفة على مصراعيه ودخلت الغرفة وأدركت أنّ محتوياتها ما ما يبرحها. اختفت كل اغراض ايف من الغرفة. لم يكن أحد يشغل الغرفة. احتاجت الى جميع دقائق لتستوعب حقيقة أنّ ايف غادرت فجأة كما جاءت. ولكن الى أين ذهبت ولماذا لم تخبرها قبلاً. جلست على السرير بضعف وحاولت أن تستجمع افكارها. علمت ايف تشاعر صوفي بالنسبة الى اقامتها هنا. لكن لا يمكن لها أن تغادر من دون أي اشارة! ربما تركت رسالة، تعتذر فيها تصرفاتها، لكنها لم تجد شيئاً هنا. كذلك لم تجد شيئاً في غرفتها أيضاً. تركت الى غرفة الطعام وهي تشعر بالوهن والضعف. ما الذي يجري؟ رأت فوراً أن اديج لم يكن

يتناول طعام العشاء في المنزل. رأت براندت وبيرو وروروا فقط في انتظارها على الشرفة وانتشرت معتذرة قبل أن تجلس. فهي لم تره لبراندت أن يشك في أي شيء... ليس الآن. كانت صامتة أثناء تناول الطعام. والخبز أقال براندت:

- لسوء الحظ أن الآنسة سلاتر اضطرت الى مغادرتنا بهذه الصورة الفجائية. أليس كذلك؟ لكن لا بأس، اعتقد أنك سوف تزيارها القصيرة.

تبادلت صوفي وبيرو النظرات:

- انت تعلم أنها... غادرت؟

- طبعاً. توج الخبز قبل أن يأخذها الى القطار. كان من حسن حظها أنها استطاعت ايجاد مكان لها على الطائرة.

- هل... هل أخبرتك عن سبب اضطرارها الفجائي الى الرحيل؟

- نعم، بسبب عملها. لكن يسعدني أن اعلم أنك لم تغادري يا ايف.

نظرت صوفي الى صحنها. اذن ايف ذهبت كما قالت! لكن هل حصلت على ما أرادت؟ كانت صوفي أن تهز رأسها وهي تفكر. والا كيف وافقت على الرحيل من دون احداث جلبة؟ ولكن ما هو رأي توج فيها... فيها؟ بقيت صوفي في غرفتها طوال فترة بعد الظهر. وكانت تظن بين الفينة والاخرى أن توج قد عاد، لكنها تكتشف خطأها، بعد أن تظل من الشرفة. كانت اعصابها مشدودة ومتوترة، وحدها متوجعين، ولم تستطع التفكير بأيّ ما كان ينتظرها عندما يعود. استلقت على سريرها بقلق منحوفة من الجانب الغربي. ويبدو أنها نامت لأنها استيقظت بعد فترة على صوت طرق الباب.

- آنسة ايف! آنسة ايف! هل أنت هناك؟

فتحت صوفي عينيها وهرولت تفتح الباب. وقفت فيولت أمام الباب وبدت مزعجة جداً.

- ما الخطب يا فيولت؟ ما الأمر؟

- هل... هل يمكنك أن تأتي فوراً، يا آنسة ايف. انه السيد براندت. وهو في مكتبه ولا أعتقد انه بخير أبداً.

نظرت صوفي الى الخادمة بهلع:

- ماذا تقصدين؟ ماذا حدث له؟ أين توج؟ هل هو وحده؟

وفيما هما تبطان السلم صرخت فيولت الأمر:

- جوزف هو الذي اخبرني، يا آنسة. كان قد ذهب الى الشبة لاحضار بعض الاغراض التي تم ذهب لرؤية السيد براندت اثر عودته. كان السيد بخير وقتئذ. تحدث الى جوزف. وسأله عن رحلته. ثم بعد ربع ساعة عاد جوزف ليسأله اذا كان يرغب في تناول بعض الشاي فوجده على ارضه، والغرورقت عينا فيولت بالدموع وسألتها:

- سوف يكون بخير، اليس كذلك يا آنسة ايف؟

هزت صوفي رأسها يأساً. لم تعرف بماذا تفكر. هرعتا عبر القاعة ثم الى مكتب براندت. وكما وصفت فيولت الحادث، كان براندت ملقى فوق مكتبه فيما كان جوزف يضرب يديه بقلق ظاهر. تردد صوفي خطوة ثم صارت نحو المكتب ووضعت أصابعها على جبهة براندت. شعرت بالنبض لكنها هلعت عندما أحست بضعفه وهفت محاولة الامساك بزمام الأمور:

- اطلبوا الطبيب، فيولت، هل يمكنك الاتصال بطبيب؟

قفزت فيولت من مكانها.

- نعم يا سيدتي. هل سيكون بخير يا آنسة ايف؟

فتحت صوفي فمها كي تجيب... لتقول انه ليس لديها اقل فكرة عن الموضوع ثم أطبقته ثانية. كانت فيولت وجوزف مثل الاطفال الذين يحتاجون الى طمأنينة. أرادا أن تقول لهما أن كل شيء سيكون على ما يرام حتى لو لم يكن الأمر هكذا.

- طبعاً، كل شيء سيكون على ما يرام، قالت صوفي بثبات، أعتقد انه غاب عن الوعي فقط. هذا كل ما في الأمر. افعل كما اقول لك واتصل بالطبيب. هل... هل عاد السيد توج؟

- كلا، يا آنسة ايف.

أجابها جوزف، وأثبت صوفي نفسها لأنها سألت ذلك السؤال السخيف. لو كان توج هنا، لأمسك هو بزمام الأمور. هرولت فيولت بعيداً كي تتصل بالطبيب وقالت صوفي لجوزف:

- ساعدني في وضعه على الأريكة.

أوما جوزف برأسه واستطاعا معاً نقل براندت الضخم الى الأريكة ومدداه بشكل مريح. ثم جلست صوفي قرب براندت ووضعت وجهها على صدره. شعرت أنّ دقات قلبه أصبحت أقوى بقليل، لكنها لم تعلم ان كانت تتوهم الأمر أم لا.

وسألها جوزف:

- هل هناك ما تستطيع فعله يا آنسة ايف؟

نظرت صوفي اليه وقالت:

- لا، لا أعتقد ذلك. ما الذي حدث؟ قالت فيوليت انك وجدته صريحاً عندما عدت من البلدة.

- هذا صحيح يا آنسة ايف. كانت الآنسة جاتين معه.

اهتز رأس صوفي:

- جاتين فليمنغ؟

- نعم يا آنسة.

- وما الذي كانت تفعله هنا؟

هز جوزف رأسه:

- لست ادري يا آنسة.

- كلا، بالطبع لن تعرف.

فكرت صوفي في الأمر. ما يمكن جاتين أن تفعله هنا بينما آدم غائب عن المنزل؟ مع أنها قد لا تكون مدركة انه غائب. اضطرب عقلها من كثرة الشظايا. هل يعقل أن يكون لزيارة جاتين علاقة بحال براندت؟ بدأت تتساءل اذا كانت جاتين قد علمت بحريتها الحقيقية بطريقة ما واذا بها قلق شديد. ماذا لو انها جاءت هنا لهذا السبب؟ ماذا لو أنّ معرفة براندت بحقيقة حفيدته كانت السبب في اصابته بالنوبة القلبية؟ هناك احتمالات عدة. ولم يستطع عقلها أن يستوعبها. كانت لا تزال جالسة قرب براندت عندما سمعت وقع أقدام تقترب ورأت آدم يدخل الغرفة. التفتت نظراته من صوفي الى الرجل ... ونهضت صوفي بارتباك عندما جاء آدم ليفحص والده. ولدهشتها رأته يضع يده في جيب والده ويخرج علبة دواء ويأمرها:

- احضري بعض الماء.

وركضت لتحضر كوبا. اجلس آدم والده قليلاً، ودفع بحبتي دواء الى فمه مما جعله يصحو لوقت مكنه من ابتلاعهما. ثم سكب بعض الماء في فم براندت، ودهشت صوفي عندما رأت عينيه تطرفان. ثم مسده آدم ثانية وسألها بقسوة:

- ما الذي حدث، ماذا قلت له؟

- انا؟... انا لم أقل شيئاً.

حدّق آدم في وجهها للحظة ثم استدار نحو والده قائلاً:

- سمعت انك طلبت الطبيب.

- انا... انا فكرت أنّ هذا افضل ما يمكنني فعله. هل سيعافى؟

- أمل في ذلك. لحسن الحظ وصلت في الوقت المناسب.

- اعلم أنك احبرني بانه يتناول الدواء. لكن لم أكن أعلم اين الدواء... لم اكن اعلم ماذا افعل!

- كان يمكن لزوزا أن تعلم، هل سألها احد؟

- لا أعتقد فقد جاءت فيوليت تعشني.

- لا بد انها فعلت!

تردد صوفي ثم قالت:

- من الافضل أن اذهب. هل ستخبرني بما يقوله الطبيب؟

- أريد أن أتكلم معك في ما بعد.

- نعم. حسنا... اعذرني.

كانت صوفي لا تزال في القاعة عندما ظهرت فيوليت:

- سيصل الطبيب بعد قليل، كيف أصبح الآن؟

- السيد آدم معه فيوليت. الآنسة فليمنغ كانت هنا، أخبريني جوزف. ما الذي كانت تريده؟

هزت فيوليت كتفيها:

- لم تخبرني يا آنسة ايف. فقط قالت ان لديها ما تقوله للسيد براندت. أعتقد أنها كانت توصل رسالة من والدتها عن ليزا.

- ليزا، رددت صوتي من دون أن تدرك ما ترده. تقصدين الفتاة... الفتاة التي...

وفجأة لم تستطع أن تتابع الكلام. تذكرت ليلة أمس والشاجرة التي دارت بينها وبين إيف، ليزا كانت واقفة خارج بابها تنصت الى الحديث...

- نعم، يا آنسة إيف تلك الفتاة التي كانت مصدر إزعاج هنا، يبدو أنها عرضت أن تعمل لحساب السيدة فليمنغ وقد قبلوا خدماتها.

- هل فعلوا حقاً؟

شعرت صوفي بالوهن. وبدأت فجأة تتبين ما يجري ولم تحب ما أدركته.

ما الذي سيظنه أوج عندما يعلم بالأمر؟ هل سيصدّق أيا لم تقل شيئاً؟ ماذا لو كانت جانين هي المسؤولة عن اختبار والده حقيقة الأمر؟ كانت ليزا تنظر اليها ببعض الاستغراب الآن وسألتها باهتمام:

- هل أنت على ما يرام، يا آنسة واردفت بجدّ، لا تدعي الخادمة الذي لا يفيد يرافت يتلفك كثيراً. قال السيد أوج ان لا داعي للقلق، وأنه لم تعد بحاجة إليك.

لكن أوج قال ذلك بالنطق نفسه الذي دافعه هي له. وعزت رأسها واستطاعت أن تطمئن فيليت وسارت ببطء الى القاعة الداخلية. ما الذي ستفعله؟ انها اصيب برافت فعلا بنوبة قلبية، انا تولي... لكن لا، لا يمكن أن يحصل هذا، حاولت نفسها بأس. لا يمكن أن تكون طرفاً في مثل هذه المشكلة. عليه أن يتحسّن، مهما علم عن الحقيقة، كيف لها أن تبقى هنا الآن اذا علم برافت بالحقيقة؟ قد لا يريد أن يراها ثانية. أما بالنسبة الى أوج...

هزّت رأسها ومسحت الدموع التي أحلت تنهمر. كان البكاء ردّ فعل جباناً وضعيفاً. جلدت الى هنا بإرادتها، ولم يجبرها أحد على المجيء، وكان عليها أن تواجه النتائج. ولكن الآن... وبالدفاع مفاجيء، دخلت الى القاعة وامسكت بدليل الهاتف ووجدت رقم هاتف عائلة فليمنغ. اتصلت بالرقم ورفضت أن تفكر فيما كانت تفعله وعندما ردّت الخادمة طلبت التحدث الى الآنسة جانين فليمنغ.

- الآنسة فليمنغ ليست في المنزل، اجابتها الخادمة بتهذيب، هل أناديّ السيدة فليمنغ.

- اوه. كلا... كلا، لا بأس.

بدأت صوفي ترتاح عندما سمعت صوتاً في الطرف الآخر من الهاتف ثم جاءها صوت هوارد فليمنغ.

- إيف، إيف، هل هذا أنت؟

أيقنت صوفي أن هوارد فليمنغ لم يكن يعلم بعد بشخصيتها الحقيقية فارتاحت بعض الشيء واجابته:

- نعم أردت التحدث الى جانين، لكن لم يكن الأمر مهماً.

- لا أتبع أياً غرضاً منها؟ تبدين متوترة جداً. هل وقع مكروه؟

- في الواقع، أجل. انابت برافت وهكة ونحن في انتظار الطبيب.

- يا الهي! بدا هوارد متأثراً فعلاً، هل في استطاعتي أن أفعل أي شيء؟

- كلا. شكراً لك. عزيزي أعتقد أن الطبيب وصل الآن.

وهكذا كان. ظهرت دوريت التي قادته عبر الممر الى مكتب برافت بينما تحركت صوفي في غرفة الصباح والشرفة وتساءلت عن مكان وجود بيرز. ربما ذهب في التركب الشرقي. تمنت لو كان هنا الآن. فهي كانت في حاجة الى وجوده قربها.

ثم سمعت أصواتاً في القاعة وسارت نحو باب الغرفة لترى الطبيب يغادر. وبدلاً تصير زيارته على أنّ الأمر ليس خطيراً، لكنها لم تتجاسر أن تؤكد استنتاجها. رافق أوج الطبيب الى سيارته، وسارت صوفي نحو باب المكتب المفتوح. كان برافت لا يزال مستلقياً حيث وضعته هي وجوزف. وعيناه لا تزالان مغمضتين. لكن بدا ان تنفسه قد انتظم. كانت صوفي تهبط السلم عندما التفت أوج.

- انه نائم الآن، وربما سينام بضع ساعات. لكن ليس هناك ما يقلق.

- اوه، الحمد لله.

كان تعبير أوج غامضاً:

- اخرج عليك ان تذهبي وتتناولي بعض الشاي. يبدو أنك بحاجة الى

ذلك. سوف اكلمك في ما بعد.

اوصلت صوتي برأسها وذهبت. على الاقل لن يموت براندت. وهذا اهم شيء في الموضوع.

كانت تريدي ثياب العشاء عندما جاءت خادمة تخبرها بأنّ مكالمة هاتفية تنتظرها.

- في الـ؟

فرحت صوتي. من يمكن ان يتصل بها؟ تحدثت من القاعة، وحملت السماعة بالداخل ووضعتها على اذنها بتردد.

- ايف هوليستر من المتحدث؟

- شخص يعلم انك لست ايف هوليستر.

قال صوت نسائي جلست صوتي فوراً انه صوت جانين.

- فهمت أنك اتصلت بي في وقت سابق اليوم.

جلست صوتي حائرة على السلم. فقد فاجأها كلمات جانين ولم يكن لديها ما تقوله.

- حسناً؟ كان عليك ان تعلمي انّ امرك سينكشف عاجلاً ام آجلاً.

- هل... اخبرت براندت؟

- ليس بعد. ولكني سأفعل إذا لم تغادري فوراً.

شعرت صوتي بنفسها مبكية:

- تريدين مني ان اغادر؟

- هذا صحيح. عدا اذا امكنك، كان عليّ ان اعلم انّ الطريقة التي كنت تنظرين فيها الى آدم... ثم قطعت حديثها فجأة. في أي حال انا اعلم الآن وان ازيده في كشف حيلك! لا اعلم لماذا جئت الى تريبيداد. أو كيف حصلت على عنوان براندت، الاّ اذا كانت ابنة جيمس الحقيقية وراء كل ما يحصل. لكن من الافضل لك ان توضبي حقائبك من الآن والاّ سيكون لديّ عائلة جديدة لتسلي امور اخرى لتشغل بالها.

ادركت صوتي انّ الفتاة قد أقفلت الخط بعد حديثها. لقد هدّدتها ولم تشك صوتي في أن جانين عنت ما قالته. سوف تخبر براندت. فهي لم تكن تخاف خسارة اي شيء. جاءت مكالمة هاتفية اخرى وانتفضت صوتي عندما

نهض آدم ليجيب، لكنه بدا مشغول البال عندما عاد ولم يجلس ثم قال لخاطبة عمته:

- يجب ان اخرج يا روزا! تعرّض بعض عمالنا لشكنة في المدينة وعليّ ان اذهب سوف اراك لاحقاً.

ولمعت عيناه وهو ينظر الى صوتي وأدركت انه كان ينتهها الى أنها لن تنجو من الحديث للقتل معه. لكن لأي هدف؟ سألت نفسها بعد رحيله. لم يعد مهماً اذا طلب منها البقاء أو الرحيل. فجانين عنت ما قالته. كانت مستخبر براندت. وكان على صوتي ان تقرر اذا كان من الاسهل عليها أن تبقى أو تذهب.

عندما انتهت وجبة العشاء خرج بيرز، واندفعت صوتي خارج المنزل ونزلت السلم الى الرصيف الحجري. كان الهواء قوياً في تلك الامسية وتطاير شعرها على وجهها والشعرُ بدنها. لكن على الاقل كان الهواء بارداً ومنعشاً وأزال نشاوة الطعم والارتياح عنها.

كان الخرج غير الاعتيادي يحمل المركب والقارب يرتطم واحدهما بالآخر، وسارت صوتي نحوهما ببطء وهي تراقب حركاتها غائلة. لكنها تنبّهت الى أنّ الحبال التي تربط المركب بالرساة كانت مائلة. فاما أنّ بيرز لم يربطها جيداً أو أنّ الريح هي السبب، لكن المؤكد أنّ المركب كان على وشك أن ينحرف الى عرض البحر. نسيت صوتي همومها للحظة واتجهت كي تلتقط الحبل. وكادت الريح وموجة مفاجئة أن توقعاها لكنها تمكنت من استعادة توازنها والتحدت ثانية كي تربط الحبل لتكتشف أنّ حلقة الرساة قد تآكلت من القصداً وهذا فسر كيف أفلت حبل المركب في الأساس. نظرت حولها وهي ممسكة بالحبل تحاول ايجاد مكان مناسب لربطه به لكنها لم توفق. كان أملها الوحيد في ان تربطه الى مرسى القارب الثاني وأن تأمل في أن تتحمّل الرساة الاثنين معاً.

إلاّ أنّ يديها أصبحتا باردتين وأفلت الحبل فجأة من يدها بسبب الريح. وتراجع المركب كقلبة واختفى الحبل في الماء على بعد بضعة مستيمترات في الرصيف.

- آه، اللعنة!

حدّقت صوفي في التركب الصغير بالزعاج. لم لم تنزل الى هنا لما كانت علمت بالامر لكنها الان لا تدري ماذا تفعل. بالكاد كان في امكانها ان تصرخ طلباً للنجدة في الوقت الذي كان فيه براندت طريحاً. الان ماذا في امكانها أن تفعل. تركه وتأمل في ألاّ يعرفه الوح؟ لو تحاول ان تقتله؟

نظرت الى تنوريا ذات الذابا وقدميها وفكرت انها لو حاولت الامساك بالحبل ستتبعها ثيابها. ومن ناحية اخرى فان ثيابها قد تعيقها لتغمرها اكثر وبحركة فجائية. خلعت ثيابها وقفزت في الماء. شعرت بلسعة البرد لكنها سرعان ما اعتادت عليها. كانت الماء لا تزال أدفأ بكثير من الماء في وطنها. واستطاعت ان تصل الى التركب، وامسكت بالحبل، ثم استدارت وحاولت ان تجذبه نحو الشاطئ، لكن لسوء الحظ عاكسته الرياح والتيار بدها. وشعرت بضيق خفيف، وبدأت تشعر بقساوة البرد وعلمت ان عليها التخلي عن مهمتها عاجلاً أم آجلاً ثم أصابها تشنج ووجع مؤلم في ساقها اليسرى جعلاها تشهق وتترك الحبل وتنزل تحت الماء للحظة. ثم تصعد من تحت الماء مذعورة وهي تحاول التقاط انفاسها، غير متمكنة من تصور طريقة للعودة الى الشاطئ. وعوضاً من ذلك، امسكت بجانب القارب وقفزت الى داخله وهوت على مقعد. شعرت بارتياح عارم لخروجها من الماء وشعورها بأنّ تشنج ساقها بدأ يخف، لكن وهلة الاستراحة الاولى انتهت وبدأت تشعر بأحاسيس اخرى. شعرت ببرد شديد جعل اسنانها تصطك، وأخذ الشاطئ يبتعد عنها رويداً. وكانت وهي مذعورة وتساءلت عما يمكنها أن تفعل. حتى لو عرفت الطريقة لذلك فانها شكّت في ما اذا كانت تجسر على وضع الشراع في مثل هذه الريح القوية، وقد تسحب الريح التركب الى عرض البحر.

علمت أنّ املها الوحيد هو في التخطيف في الماء والسباحة نحو الشاطئ. فاذا ما بقيت حيث هي، فمن الممكن أن يحدث أي شيء. فقد ينقلب التركب ولم . . . صعدت قدميها مرة اخرى ثم وقفت بوهن دون اعطاء نفسها المجال للتفكير ثانية في الامر قفزت من التركب وسبحت في المياه الصخور. غطت الماء رأسها مرات عدة، وبصقت الماء مرات عدة من فمها لكنها استمرّت في السباحة، لم تشعر بالصخور بعيدة الى هذا الحد في السابق.

واخيراً قرّرت لنفسها بأنها لن تستطيع الوصول اليها. وكان املها الوحيد في الوصول الى الرأس الصخري على بعد امتار عدّة منها. وبقا الرأس مرعباً ولم ترَ ما تتمسّك به كي تخرج من الماء، لكن لم يكن لديها أي خيار. واخيراً وصلت الى الرأس، وسحبت نفسها من الماء وهي تشعر بتلاشي قواها. ومزق سطح الصخرة الخشن أصابعها وهي تحاول أن تنهض.

وجدت حافة ضيقة على سطح الصخرة تكفي لدس جسمها فيها فأثقلت رأسها التصب على الصخرة الخشنة. على الاقل كانت في مأمن في تلك اللحظة. لم تعبر الماء هذا الجزء من الرأس الصخري وفكرت أنها ستحاول السباحة الى الشاطئ، ما ان تستجمع قواها. وشعرت بالبرد والتعب وبمصيبة خفيفة، لكنها نسيت متاعبها الاخرى في تلك اللحظة.

١٠ - الحنان الى الأبد

سمعت صوفي اصواتاً ملحة غاضبة تناهت اليها عبر الماء كموجات، مثل ارتفاع الموج. . . رفعت نظرها وحاولت ان تتحرك. شعرت بكل عظمة في جسدها تؤلمها من شدة تعبها، رغم انها نامت، وحاولت ان تبقى مستيقظة لكن البرد جعلها ترغب في اغلاق عينيها. كانت تعلم انه يجدر بها ان تحاول العودة الى الشاطىء، لكن الماء بدت مائجة وعدوانية واخيرت نفسها انها ستبقى لفترة اخرى. لكن الآن. . . الآن سمعت اصواتاً، يجب ان يراها احدهم لكن كيف فهم ان يستطيعوا؟ فقد خيمت الظلمة ولم يكن ثمة ضوء قمر، والضوء الشحيح لم يكن كافياً كي يبين شكلاً جد في مكانه واستلقى على الصخر، الا اذا استطاعت لفت انظارهم بوسيلة اخرى. استطاعت ان تتحرك ثم نظرت يأساً نحو الشاطىء. كانت لا تزال تسمع

الاصوات لكنها شعرت انها تبتعد، واذا لم تتصرف بسرعة فسوف تختفي.

- النجدة، صاحت بصوت خافت، ثم بصوت اقوى، اوه، ارجوكم ساعدوني!

حمل الريح صوتها بعيداً. ابتعدت الاصوات اكثر وجعلها الرعب تصرخ بشكل هستيري:

- النجدة، اي يا غبي انا هنا! ساعدوني!

صاد الصمت للحظة وبدا كأن اسوأ مخاوفها قد تحقق، لكنها عادت تسمع الاصوات وعلمت انها تقترب نحوها.

- صوفي! كان ذلك صوت آدم، صوفي هل تستطيعين ان تسمعيني؟

- نعم، اجابت وصوتها يضعف، الحمد لله انك سمعتني!

ثم بدح صوتها اكثر واجهشت في بكاء هز كيانها.

- اهدأي، انا مقبل لنجدتك!

صاح آدم، وسمعته يوجه اوامره الى من كان برفقته. سمعت صوت محرك قارب يقترب وصوت آدم ينادي في استمرار مشجعاً لكنها بالكاد ادركت اقترابه. فقد جعلتها الصدمة والبرد تفقد السيطرة على نفسها. وعندما اقترب القارب من الصخرة صاح آدم مرة اخرى:

- انا رميت حبلاً، هل في استطاعتك الامساك به؟

حاولت صوفي ان تبقض نفسها:

- سأحاول.

رمى آدم الحبل اليها. فاطرح قربها وكان من السهل عليها ان تلتقطه. لكن اصابعها كانت متجمدة الى درجة لم تتمكن معها من التقاطه واعتمد الحبل عنها. لم يسأها آدم مرة اخرى. وبدلاً من ذلك اقترب بالقارب ثم انحنى وقفز منه الى الصخرة ليقف على حافتها بالقرب منها.

- اوه، صوفي!

تمتم قائلاً ثم تابع بصوت مكسور:

- ظننت انك قتلت نفسك؟

نظرت صوفي اليه وهي ترتجف، وتحاول الوقوف على قدميها، ومن دون ان يكترث لتبللها قرّبها اليه واحتواها بذراعيه.

- يا أخي، قال وهو يتن، انك ترتعشين من شدة البرد! تعالي! لن يطول بنا الأمر الآن. يجب ان اعيدك.

كانت صوفي مسرورة ان تبقى حيث هي بين ذراعي آدج. فهي تشعر بالامتنان ان هذا المكان. لم تتذكر مشوار العودة الى الشاطئ، كثيراً. فطالما جورف الذي كان يرافق آدج بالأفضلية بين قاع آدج المركب. ثم وصلوا الى الرصيف وحملها آدج نحو المنزل.

- اني... ثقيلة يا آدج، في استطاعتي المشي!

- اشك في ذلك.

تململ آدج عبثاً، ثم تجاهل احتجاجاتها للملاحقة. لاتجهم فيوليت الى مدخل المنزل، وبدا القلق واضحاً على وجهها:

- اوه يا سيد آدج لقد وجدتها! هل هي بخير؟

- ستصير كذلك، اذهبي وجهزي الحمام.

- نعم يا سيد آدج.

هرولت فيوليت صاعدة السلم ولحق بها آدج غير مترجح من حملها. وتركها تقف عندما وصل بها الى غرفتها وقال لها بانقضاب:

- استحمي الآن! ابقي ما يطيب لك من الوقت في الماء، لا داعي للعجلة.

وما ان اصبحت صوفي في المياه الدافئة حتى سألت فيوليت عن الساعة.

- الا تعلمين اب قاربت الثانية بعد منتصف الليل!

- الثانية؟ ولكن... ولكن لماذا لا يزال الجميع مستيقظين؟

نظرت فيوليت اليها نظرة تقليدية.

- اوه يا آنسة يا له من سؤال! فقد السيد آدج نصف رشده وهو يبحث عنك وارسل السيد بيرز الى عائلة فليمنغ ليرى اذا ذهبت الى منزلهم مصادفة. وقبعت صوفي في المياه الساخنة. وبدأت تشعر بالدفء مجدداً...

- ولكن... متى اختفيت؟

- قرابة الحادية عشرة مساء، عندما عاد السيد آدج من المدينة. اراد ان يراك وعندما لم نجدك بدا مقتنعاً بانك هربت.

رددت صوفي.

- هربت؟

- نعم يا آنسة صوفي... هذا اضحكك؟

نهضت صوفي واقفة في الماء.

- كيف عرفت اسمي؟

- لم هذا السؤال الجميع يعلم يا آنسة.

- الجميع؟ امتنع حدا صوفي وبرانديت... اعني... السيد برانديت ايضاً؟

- الجميع.

قال صوت من الخارج، واستدارت صوفي لترى آدج مستنداً بكتفه الى الباب. وفوراً عادت الى الجلوس في الحوض وانغمست وجنتاها.

- يجب الا تكون هنا يا سيد آدج!

ونحته فيوليت وهي تتمتم ثياب صوفي وتضعها في سلة الغسيل.

- تستطيع ان تتحدث اليها في ما بعد.

- هذا ما سأفعله يا فيوليت، قال آدج بلهجة الواثق، ولكن استعجلي قصيري بدأ يبرد.

ثم استدار وابتعد. اعتراها التفكير في ما سمعته، ولم تجسر على التفكير في ما قاله ولماذا لا يبدو غاضباً. ارتدت صوفي ثيابها وبعد ان اطمأنت فيوليت الى ان لديها كل ما تحتاجه غادرت الغرفة. كانت صوفي تجلس امام المرآة تسرح شعرها عندما فتح الباب وظهر آدج. دخل الغرفة بصورة مألوفة واغلق الباب خلفه، وبدأ قلبها يخفق بقوة. وضعت الفرشاة جانباً وراقبته يقترب منها في المرآة. ثم ابتعد عنها قليلاً وسحب علبة سكائر والشعل واشعلة. لاحظت ان يديه كانتا ترتعشان قليلاً وهو يشعل السيكارة. ثم سار بعيداً عنها نحو الشرفة. وطرق قلبها مرة اخرى. ماذا سيحدث الآن؟ هل سيعود الى تصرفه المتهكم مرة اخرى؟ لكنها لم تر اي سخرية في وجهه عندما استدار نحوها. بل على العكس بدا تعبيره متوتراً وسألها بهدوء:

- لتشعرين بأنك على ما يرام؟

- انا . . . انا بخير. اني متأسفة لأني سببت المتاعب لكم.
- متاعب؟ ورفع عينيه نحو سقف الغرفة، اوه، يا الهي، لو تعلمين اي متاعب!
- اني آسفة.
- لماذا؟ استحل اكثر من ذلك . يا الهي، عندما علمت انك مفقودة، فانا . . ثم هز رأسه، حسناً، لا يهم الأمر الآن، كيف وصلت الى هناك؟
- كنت احاول اعادة المركب الشراعي.
- المركب؟ وبدا فاقد التعبير، ابحرت بالمركب.
- كلا، لم ابحر به. الرسالة تأكدت من القصد وكان المركب غير مربوط، وحاولت استرجاعه.
- فهمت . اذن هذا السبب علمت لي بك . يا الهي عندما وجدتها ظننت فعلاً . . . ظننت . . .

واستدار فجأة وكأنه لم يقو على الاستمرار في الكلام وشعرت صوتي يدفق من العاطفة يسري في اوصالها . ولكن قبل ان تتمكن من قول اي شيء، تابع حديثه:

- اتعلمين، اكتشفت هذا المساء عندما استيقظ والذي انه كان يعلم انك لست ايف.

همست صوتي:

- وهل كان هذا سبب . . . سبب . . .

- تعني سبب اهانته؟ كلا، فقط نسي ان يتناول الدواء. هذا كل ما في الأمر.

وشعرت صوتي بموجة ارتياح تعمرها.

- ولكن . . . لكن من اخبره. جاتين قالت . . .

ثم صمتت عندما رأت عيني آدج تضيقان، لكنه حثها على متابعة الكلام.

- نعم، ماذا قالت جاتين؟

- اوه . . . اوه لا شيء.

- تعتقدين ان جاتين اخبرته، اليس كذلك؟ هل عندت بذلك لتفعل

ذلك؟

- ربما فعلت لا اذكر.

- في الواقع على رغم احطائها، فجاتين لم تخبره.

- اذن . . . اذن كيف . . .

لم تتمكن صوتي ان تفهم. ونظر آدج بمرارة وقال:

- فتح برقية كانت موجهة اليك ظناً منه انها قد تكون مهمة. جلسها جوزف معه عندما عاد الى المدينة، وانت لم تكوني موجودة وهكذا . . . اعتقد انك انت التي ارسلت البرقية!

- البرقية؟

حتى تلك اللحظة كانت صوتي قد نسيت امر البرقية التي ارسلتها، اذ وصلت ايف في اليوم نفسه الذي ارسلت فيه البرقية، نظرت بوهن الى آدج الذي تابع قائلاً:

- انت ارسلتها اليس كذلك؟ استطيع ان ادرك ذلك من تعبير وجهك. شكراً للسماء انك فعلت ذلك!

ارتبكت صوتي وسألته هامسة:

- ولكن لماذا؟

- الا تتذكرين ان تلك البرقية ترفع اللوم عنك؟ ملأت كلماتها بوضوح انك وافقت على المجيء الى هنا فقط لأنك اعتقدت ان براندت هل وشك ان يموت وذلك بالتالي متورطة في عملية الابتزاز.

فرمشت صوتي ذراعيها وسألته:

- ولكن كيف وصلت البرقية الى هنا؟

- بالسبل العادية. لم يكن من سبيل للاعتداء ان ايف في لندن. ومن الواضح انها ابلغت جيرانها انها ستغيب بعض الوقت. ولذلك اعيدت البرقية الى هنا.

- فهمت الآن.

قالت صوتي واومأت برأسها. ثم اضافت:

- ولكن ايف تأكد لك ان لم ارسلها كعملية تعطية؟

نظر اليها آدج بتمعن صبر.

- هل فعلت؟

- كلا.

- اني اصدقك. انا اصدق حدسي. انت بساطة لست ذلك النوع من الاشخاص. اعتقد اني علمت ذلك منذ البداية لكني احتجت الى ارغام نفسي على قبول الأمر. اني اسف.

هزت صوفي كتفيها في ارتباك:

- لا بأس.

لم تعلم كيف تتصرف حيال ما قاله. ففي السابق كان يبدو مكروهاً. وربما كان يشعر بالذنب لانه عاملها باحتقار طوال تلك المدة. ومهما شعر من انجذاب نحوها، فهو احتقر نفسه كل الوقت بسبب ذلك. ثم عاد ادج ليقول:

- قد يفاجئك ان تعلمي بان براندت كان قد بدأ يشك في ان ابنة جيفر فعلاً.

انعقد صوفي بانتباه:

- اصحيح هذا؟

- نعم، ان المرء يكون صورة عن الآخر عبر الرسائل. من الممكن ان يكون المرء صورة من شخصية الآخر من كلماته، ولأي خبرة طويلة في التعامل مع الناس. وبدأ يدرك انك كنت تتجنبين مناقشته في الموضوع الذي كان يتوقع منك ان تناقشيه فيه. الدوافع وراء قبول ايف زيارته. ولكن كيا تربن... واقترب ادج خطوة منها... بدأ والدي يخيفك، يجب الشخص الذي هو انت، وكان خائفاً من التفتيش عن اجوبة قد تدمر العلاقة بينكما.

اسرعت خفقات قلب صوفي:

- لو كنت اعلم...

- لو علمت جميعاً لكانت الأمور ابسط بكثير. ولكن، لو لم تستنبط ايف هذه الفكرة لما كنا تلاقينا. اليس كذلك؟

- افترض ان هذه هي الحقيقة. لكن يجب ان اخبرك بوجود سبب آخر دفعني الى المجيء.

- سبب آخر!

- نعم، قالت صوفي بارتباك، هناك مدرسة لتمثيل هذا الصيف في روما وكانت ايف تعلم اني لا استطيع دفع نفقات الدراسة لفردي، وهكذا عرضت ان تساعدني...

واختنق صوتها من شدة يأسها وتابعت:

- اعتقد ان هذا يجعلني سيئة مثلها، اليس كذلك؟

لم يقل ادج شيئاً، فاسرعت تتابع حديثها:

- ولذلك اخبرني انك اخذت ايف الى انطار هذا الصباح... اعني صباح امس.

- نعم، ولان تعبير ادج قليلاً، اعتقد انها اصبحت في لندن الآن.

- لكن كيف... اعني هل قبلت ان تغادر؟

- قبلت، بنتيجة الأمر.

- تعني... تعني اعطيتها ما ارادت.

- بالطبع لا!

وعادت الكهرباء الى تيارات صوته ثانية.

- لا اعطي مالاً الى احد لما لم ارغب في ذلك.

- لكنها قالت...

- قالت الكثير، قال ادج مقاطعاً، بما فيه اخباري بانك وافقت على المجيء الى هنا كي تذهبي الى روما ولكنها حذفت قصة مدرسة التمثيل الصيفية واخبرني قصة مختلفة عن رجل يهمك امره ويعمل هناك...

- اوه هذا غير صحيح!

قالت صوفي وحدقت فيه بصمت.

- اوه بل هو كذلك.

- لكنها كانت صديقتي...

- بوجود اصدقاء مثلها لست في حاجة الى اعداء.

- لا، استوضحت صوفي ما قاله. اوه حسناً افترض ان هذا كل شيء... اعني، براندت يعلم الحقيقة، وايف تدبر امورها كما هي دائماً. وانا سأعود الى المسرح في ساندنتيرش. واذا البيت الى انكلترا، يجب ان تتصل

بي...

كاد صوتها يختفي واضطرت الى ان تشيح بوجهها وتنفست بعمق محاولة ان تهدأ. فلديها من الوقت ما يكفيها للبكاء عندما يغادر. كل الوقت الى الأبد.

سمعته يتحرك وشعرت بانفاسه قربها ثم قال فا:

- هذه المدرسة الصيفية، هل يمكنك امرها كثيراً؟

تنهدت صوفي:

- كانت مجرد فكرة، هذا كل شيء.

- اذا كنت تودين الذهاب، سأموّلك انا.

كان صوت آدج حاداً وواضحاً في آن.

التفتت صوفي اليه، واستدارت تنظر اليه باستغراب.

- لماذا... لماذا تفعل ذلك؟

ضاقت عينا آدج:

- اشعر بأنك انتظرت فترة طويلة. واحاول ان افعل ما في وسعي لاصلح الأمور.

احنت صوفي رأسها وهزته باصرار:

- لا، شكراً لك في اي حال. لا اعتقد ان الفكرة جيدة.

- لم لا؟ لن ازعجك بشيء.

- انا متأكدة من ذلك لكني... لكني افضل الا اخذ اي شيء من... منك.

- لم لا؟

وامسك آدج بها من كتفيها وهزها قليلاً:

- يا اخي، اعلم اني تصرفت بسوء في الماضي، اعلم اني جرحت شعورك، لكني طلبت انك تغفرني عليا وكنت في كل مرة اكره الشاهر الذي تغيرتها بي...

حدقت فيه صوفي:

- الا تعني الانجذاب؟

سألته بصوت مرتجف.

- حسناً. يمكن لك قول ذلك ويحق لك ان تكرهني. ولكن الا ترين اني احاول اصلاح الأمور؟

احنت صوفي رأسها:

- لن يتوقع براندت مني ان ابقى الى نهاية الشهر، اليس كذلك؟ اعتقد انه من الافضل لكلينا لو غادرت يوم غد... اعني اليوم، الا توافق؟

- لا! عليك المحاولة، لا اعتقد ان هذا سيكون الأفضل على الاطلاق.

وارتجفت عضلة قرب فم آدج واخذت اصابعه التي امسكت بكتفيها تؤلمها، ادارت صوفي رأسها وقالت له:

- الي متعة الآن. ارجو ان ارتاح. ارجوك!

- ايه صوفي... صوفي لا تكوني قاسية. لا اريد ان اتركك. اني احبك.

- آدج...

قالت بعدم ثبات، ثم عانقها وساد الصمت في الغرفة الدافئة الفسيحة. واخيراً ابتعدت صوفي عنه قليلاً تنظر اليه واصابعها تداعب شعره:

- آدج؟ ماذا قلت؟

لاطف آدج خدها وحنى رأسه يجابيها اليه:

- سمعتني، واعتقد انك تعلمين بانني اعني ما قلت.

طرفت عينا صوفي:

- اذن لماذا تريد ان ترسلني بعيداً؟

تنهد آدج:

- لا اريد ان ابعدك. اشعر فقط ان علي ان افعل.

- ولكن... ولكن يجب ان تعلم بأني...

- تشعرين بأنك مغرمة بي؟ نعم. علمت بالأمر قبل الآن. لكنك صغيرة وقابلة الخبرة بيننا انا... حسناً تعلمين نوع الحياة التي عشتها، كذلك سبق لي ان تزوجت.

- نعم، اخبرني بيرز بالأمر.

- هل فعل؟ كفى تعبير آدج كلياً، اوه حسناً، اذن تعلمين كل شيء عني. لكن انت... حياتك كلها امامك. اذا ذهبت الى المدرسة الصيفية

فقد تبرعين وتصبحين مشهورة. من يعلم؟ بالتأكيد هذا ما يجب ان اساعدك فيه.

وعانقته صوفي:

- اوه، آدج، آدج، لا تدري كم اسعدتني! اما بالنسبة الى التمثيل... فهذا فقط للنساء العازبات.

- انك تفترضين بأنني اريد الاقتران بك.

علق ادج ببعض الشفافة، وتخضبت وجنتاه، لكنه هز رأسه بمكر واضاف قائلاً:

- وكأنما سأقبل بأقل من ذلك! لقد تلت مني يا حبيبتي وعندما لا يوجد سبيل للشفاء على المرء ان يستمر في تناول الدواء!

لمعت عينا صوفي:

- يا لهذا الدواء، اتسمح؟

واقتربت منه تعانقه اكثر ثم سألته همساً:

- وماذا بالنسبة الى بيرز، اتعتقد انه يمانع؟

دفن ادج وجهه في شعرها:

- لا اعتقد، فهو مولع بك. وبالتأكيد فزواجنا سيسعد والدي.

- فعلاً؟ بدت صوفي متأكدة، لم يكن يتوقع منك ان تتزوج ثانية.

- حتى هذا المساء.

علق آدج مبتسماً وتابع:

- اعتقد ان لديه فكرة جيدة كم تعنين بالنسبة الي، اكثر مما كان يتصور، وذلك عندما عصفت في هذا المكان بحثاً عنك، وهز رأسه، يا الهي عندما افكر فيك وانت على تلك الصخرة تحت رحمة الطبيعة...

- لا تفكر بذلك...

حضنته صوفي في نعومة وبدا ان آدج استسلم لهذا الحنان الذي ابتدأ الآن.

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 126

السهم يرتد

الصدفة تلعب دوراً هاماً في حياة الانسان. ايف صحفية لا تخلو من دهاء وخبث، طلبت خدمة من صديقتها صوفي، واعدة اياها بدفع المبالغ المترتبة لمدرسة التمثيل في حال قيامها برحلة بدلاً منها، لزيارة جدها الذي لا يعرفها...

صوفي قبلت العرض مرغمة، وسافرت الى ترينيداد حيث التقت الجد، الذي ادهشها بحنانه وعطفه وطيبة قلبه. ولكن آدج وهو خال ايف كشف اللعبة من اول لحظة، وفاتح صوفي بالحقيقة واعلمها بانها لصة انتحلت شخصية ايف لتحتال على الجد وتحصل على مبلغ من المال وتهرب...

وامام الأمر الواقع، انهارت صوفي... هل يسلمها آدج للبوليس؟ هل يفضحها امام الجد الذي صدق انها حفيدته ووثق بها؟ هل يمكن للرجل الذي احبته ان يدمر حياتها؟ آدج اطلق على صوفي سهماً قاتلاً... ولكن سهم الحب ارتد الى مطلقه!